كلية الدراسات العليا

أصول الدين/قسم التفسير

القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم في سورتي لقمان والحجرات

دراسة موضوعية مقارنة

The Ethical Rules of the Muslim Community through Luqman and Al-Hujurat

"Comparative Objective Study"

إعداد:

مريم محمد جمعة عبد اللطيف

إشراف الدكتور:

حاتم جلال التميمي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لنيل درجة الماجستير في أصول الدين/ فرع التفسير

بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل– فلسطين

1438هـ/ 2017م

الإهداء

إلى روح أبي الطاهرة الذي أفنى عمره في العمل والكد لأجلنا، وإلى أمي الحبيبة الغالية التي ساندتني بقلبها ودعائها في كل غدوةٍ وروحة، أدعو الله أن يطيل عمرها، وأن يجعل عملي في ميزان حسناتها .

إلى زوجي العزيز الذي شجعني على مواصلة درب العلم والعلماء، وكان خير معين لي في هذه الحياة وجاد علي بماله وكرمه، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأطال الله عمره وحسن عمله وأدام عليه العافية .

إلى مركز زيد بن ثابت ذلك المنبر الوضاء، الذي خرّج الحافظين لكتاب الله والحافظات، وأمضيت فيه أجمل اللحظات في تعلم كتاب الله تعالى وحفظه وتحفيظه .

إلى أولادي قرة عيني الذين أعانوني بصبرهم في مسيرتي التعليمية، وأدعو الله أن يوفقهم ويهديهم سبيل الرشاد .

إلى أخواتي الغاليات على قلبي، اللواتي ما قصرن في الدعاء والسؤال عني في أي وقت .

إلى كل هؤلاء أهدي هذه الرسالة

الباحثة: مريم محمد جمعة

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل وأشكره على جزيل نعمه، ووافر إحسانه وفضله الواسع علي، بأن مكنني من إنجاز هذا العمل.

وإن من شكر لله تعالى أيضاً إسداء الشكر إلى أهله، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»([1])، ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل الدكتور **حاتم جلال التميمي**، الأستاذ المشارك في القراءات والتفسير وعلوم القرآن بجامعة القدس، والذي تفضل علي بكرمه بالإشراف على هذه الرسالة مرشداً وناصحاً ومعلماً وموجهاً، فله مني كل الشكر والتقدير والامتنان، فجزاه الله خير الجزاء.

وأسجل جزيل شكري للهيئة التدريسية في كلية الشريعة بجامعة الخليل ممثلة بعميدها، وأساتذتها الكرام، الذين تفضلوا علي بتوجيهاتهم خلال دراستي في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات العليا فجزاهم الله كل خير، وكما أتوجه بالشكر الجزيل إلى المناقشين الكريمين **الدكتور هارون الشرباتي** والدكتور **إسماعيل نواهضة** اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة فجزاهما الله خيراً.

وأتوجه بالشكر الوافر والامتنان الخاص لكل من قدم لي النصح أو العون أو أسهم في إنجاز هذه الرسالة من قريب أو بعيد، سائلةً الله العلي العظيم لهم التوفيق والسداد، وجزاهم الله كل خير.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى صديقتي المخلصة (ميرفت سعدة) التي تعبت وكدّت في طباعة هذه الرسالة وتعديلها وتنسيقها بصدر رحب وبأكمل وجه، فجزاها الله عني كل خير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين

([1]) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(2)، 1395هـ-1975م، كتاب البر والصلة، (339/4)، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم الحديث (1954).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس الموضوعات	ج
ملخص الدراسة باللغة العربية	ح
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	ي
المقدمة	1
الفصل الأول :التعريف بالأخلاق وبسورتي لقمان والحجرات	9
• تمهيد	10
• **المبحث الأول: التعريف بالأخلاق**	11
– المطلب الأول : تعريف الأخلاق لغة	11
– المطلب الثاني: التعريف بالأخلاق اصطلاحاً	12
– المطلب الثالث: فضل الأخلاق في الإسلام، وبيان أثرها في المجتمع	13
• **المبحث الثاني: التعريف بسورة لقمان**	16
– المطلب الأول : تسمية السورة، وترتيبها، وعدد آياتها	16
– المطلب الثاني: سبب نزول سورة لقمان	18
– المطلب الثالث: زمن نزول السورة والجو الذي نزلت فيه	21
– المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعده	22
– المطلب الخامس: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة لقمان	24
– المطلب السادس: التعريف بشخصية لقمان	25
• **المبحث الثالث: التعريف بسورة الحجرات**	31
– المطلب الأول: تسمية السورة، وترتيبها، وعدد آياتها .	31
– المطلب الثاني: أسباب نزول سورة الحجرات .	33

– المطلب الثالث : زمن نزول السورة والجو التي نزلت فيه.	42
– المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.	43
– المطلب الخامس: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة الحجرات .	44
الفصل الثاني : القواعد الأخلاقية في سورتي لقمان	45
• تمهيد	46
• **المبحث الأول : الحكمة وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم**	47
– المطلب الأول: تعريف الحكمة لغة واصطلاحاً.	47
– المطلب الثاني: أهمية الحكمة وعلاقتها بالنبوة	48
– المطلب الثالث: مأثورات من حكم لقمان	50
• **المبحث الثاني: شكر نعم الله وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم**	52
– المطلب الأول: تعريف الشكر	52
– المطلب الثاني: الشكر على نعمة الحكمة	53
– المطلب الثالث: آثار شكر نعم الله تعالى	57
• **المبحث الثالث: توحيد الله تعالى وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم**	58
– المطلب الأول: الوصية الأولى من وصايا لقمان لابنه (وصية التوحيد)	58
– المطلب الثاني: أنواع الشرك	62
– المطلب الثالث: آثار التوحيد في قلوب أفراد المجتمع المسلم وثمراته	64
• **المبحث الرابع: بر الوالدين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم**	66
– المطلب الأول: الوصية الثانية من وصايا لقمان لابنه "(الإحسان إلى الوالدين وبرهما	66
– المطلب الثاني: أهمية بر الوالدين	74
– المطلب الثالث: آثار بر الوالدين	77
• **المبحث الخامس: اتباع سبيل الصالحين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	79
– المطلب الأول: الوصية الثالثة (اتباع سبيل الصالحين وصحبتهم	79
– المطلب الثاني:الحث على اتباع سبيل الصالحين وصحبتهم وآثار ذلك في بناء المجتمع المسلم	81

• **المبحث السادس: مراقبة الله تعالى وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	84
– المطلب الأول: الوصية الرابعة (مراقبة الله تعالى، الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض)	84
– المطلب الثاني: آثار مراقبة الله في نفوس وأخلاق أفراد المجتمع المسلم.	87
• **المبحث السابع: الصلاة وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	89
– المطلب الأول: الوصية الخامسة (إقامة الصلاة والمحافظة عليها)	89
– المطلب الثاني: أهمية الصلاة وأثرها في أفراد المجتمع المسلم.	90
• **المبحث الثامن: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآثارهما في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	93
– المطلب الأول: الوصية السادية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)	93
– المطلب الثاني: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغة واصطلاحاً.	94
– المطلب الثالث: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية.	95
• **المبحث التاسع: الصبر وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	98
– المطلب الأول: الوصية السابعة (الصبر على ما يصيبه)	98
– المطلب الثاني: حقيقة الصبر وأنواعه	101
– المطلب الثالث: فضل الصبر وآثاره في المجتمع المسلم	102
• **المبحث العاشر: التواضع وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	105
– المطلب الأول: الوصية الثامنة (التواضع وعدم التكبر)	105
– المطلب الثاني: حقيقة التصعير والخيلاء.	107
– المطلب الثالث: فضل التواضع وأثر أخلاق أفراد المجتمع المسلم.	110
• **المبحث الحادي عشر: غض الصوت وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	111
– المطلب الأول: الوصية التاسعة (الاعتدال في المشي، وغض الصوت)	111
– المطلب الثاني: غض الصوت وآثاره في أخلاق أفراد المجتمع المسلم وسلوكهم.	113
– المطلب الثالث: خاتمة عامة حول وصايا لقمان	114

الفصل الثالث: القواعد الأخلاقية من خلال سورة الحجرات	116
• تمهيد	117
• **المبحث الأول: عدم التقديم بين يدي الله ورسوله وآثار ذلك في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	118
– المطلب الأول: التفسير والبيان	118
– المطلب الثاني: دلالة النداءات في سورة الحجرات	120
– المطلب الثالث: ما يدخل في التقدم بين يدي الله ورسوله	122
– المطلب الرابع: آثار عدم التقدم بين يدي الله ورسوله	123
• **المبحث الثاني: غض الصوت في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	125
– المطلب الأول: التفسير والبيان	125
– المطلب الثاني: غض الصوت من أهم الآداب مع الله ورسوله	128
– المطلب الثالث: الأحوال التي يكره فيها رفع الصوت	130
– المطلب الرابع: غض الصوت وأثره في بناء المجتمع المسلم	131
• **المبحث الثالث: التبين من الأخبار وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	132
– المطلب الأول: التفسير والبيان	132
– المطلب الثاني: حقيقة التبين وطرق معرفته	135
– المطلب الثالث: آثار التبين الإيجابية التي تعود بالخير على الفرد والمجتمع	136
• **المبحث الرابع: الاصلاح بين المؤمنين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	138
– المطلب الأول: التفسير والبيان	138
– المطلب الثاني: مراحل العلاج عند وقوع القتال	141
– المطلب الثالث: معنى البغي وآثاره	143
– المطلب الرابع: اتباع منهج الإصلاح، وآثاره في المجتمع المسلم	144
• **المبحث الخامس: العدل والقسط وآثارهما في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	146
– المطلب الأول: التفسير والبيان	146
– المطلب الثاني: حقيقة العدل والفرق بينهما	147
– المطلب الثالث: آثار تحقيق العدل والقسط بين المسلمين	149

• **المبحث السادس: التآخي وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	150
– المطلب الأول: التفسير والبيان	150
– المطلب الثاني: حقيقة الإخاء ودوافعها	152
– المطلب الثالث: مكانة الإخوة الإيمانية	153
– المطلب الرابع: من آثار التآخي بين المسلمين في المجتمع المسلم	155
• **المبحث السابع: السخرية واللمز والتنابز بالألقاب وآثارهما في هدم القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	157
– المطلب الأول: التفسير والبيان	157
– المطلب الثاني: حقيقة التنابز وحكمه	160
– المطلب الثالث: آثار السخرية واللمز والنبز في المجتمع المسلم	161
• **المبحث الثامن: اجتناب الظن وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	163
– المطلب الأول: التفسير والبيان	163
– المطلب الثاني: حكم سوء الظن بالمسلم	165
– المطلب الثالث: علاج سوء الظن	166
– المطلب الرابع: آثار سوء الظن على الفرد والمجتمع المسلم	167
• **المبحث التاسع: التجسس وآثاره في هدم القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	169
– المطلب الأول: التفسير والبيان	169
– المطلب الثاني: الفرق بين التجسس والتحسس	170
– المطلب الثالث: آثار التجسس	171
• **المبحث العاشر: الغيبة وآثارها في هدم القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	173
– المطلب الأول: التفسير والبيان	173
– المطلب الثاني: تعريف الغيبة وصورها	175
– المطلب الثالث: الأحوال التي تباح فيها الغيبة	176
– المطلب الرابع: آثار الغيبة على المجتمع المسلم وطرق الوقاية منها	177
• **المبحث الحادي عشر: التعارف بين الناس وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**	179
– المطلب الأول: التفسير والبيان	179
– المطلب الثاني: حقيقة التعارف وآثاره في بناء المجتمع	181

• **المبحث الثاني عشر: القواعد الأخلاقية المشتركة بين كلتا السورتين (لقمان والحجرات)، والقواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة لقمان، والقواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة الحجرات**	183
– المطلب الأول: القواعد الأخلاقية المشتركة بين كلتا السورتين (لقمان والحجرات).	183
– المطلب الثاني: القواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة لقمان.	185
– المطلب الثالث: القواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة الحجرات.	186
الخاتمة	187
التوصيات	189
الفهارس العلمية	190
فهرس الأعلام المترجم لهم	191
فهرس الآيات القرآنية الكريمة	192
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	200
قائمة المصادر والمراجع	203

ملخص الدراسة

- عنوان البحث: القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم في سورتي لقمان والحجرات (دراسة موضوعية مقارنة).
- إعداد الطالبة: مريم محمد جمعة عبد اللطيف
- إشراف الدكتور: حاتم جلال التميمي

تناولت هذه الرسالة القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم في سورتي (لقمان والحجرات)، واستخدامها وبيانها، وبيان آثارها في بناء المجتمع المسلم لما فيها من آثار عظيمة ونافعة تعود على الفرد المسلم بالصلاح والفلاح، وترقى به إلى أعلى معاني الإنسانية وأسماها.

وتكمن أهمية هذا البحث في تناوله الآداب الاجتماعية الواردة في كلتا السورتين (لقمان والحجرات) للمجتمع المسلم، وكيفية علاقاته مع الآخرين.

وتهدف هذه الرسالة إلى توضيح الأخلاق والآداب الواردة في سورتي (لقمان والحجرات)، وأثرها في بناء المجتمع المسلم، والتأكيد على ضرورة تطبيق هذه القواعد والوصايا للوصول إلى مجتمع مثالي.

وتقوم منهجية البحث على عدة مناهج منها المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء القواعد الأخلاقية الواردة في سورتي لقمان والحجرات، والمنهج الوصفي؛ وذلك بشرح تلك القواعد، وبيان أثرها، والمنهج الاستنباطي؛ وذلك باستنباط ما يمكن استنباطه من تلك القواعد، والمنهج التاريخي؛ وذلك فيما يتعلق ببيان شخصية لقمان، والترجمة للأعلام الذين وردت أسماؤهم في الدراسة.

واشتملت هذه الرسالة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، تحدثت في المقدمة عن أسباب اختيار البحث، وأهدافه وأهميته وحدوده، والدراسات السابقة مع توضيح منهجية البحث.

وأما الفصول الدراسية للبحث فقد تحدثت في الفصل الأول عن الأخلاق بتعريفها وفضلها وآثارها، وتناولت في الفصل الثاني: القواعد الأخلاقية في سورة لقمان متمثلة بوصايا لقمان الحكيم لابنه، وآثارها في بناء المجتمع المسلم، وتناول الفصل الثالث: القواعد الأخلاقية في سورة الحجرات وآثارها في بناء المجتمع المسلم.

وقد تضمنت الخاتمة النتائج التي توصلت إليها الباحثة، ومن أبرزها أن كلتا السورتين (لقمان والحجرات) اشتملتا على جملة من القواعد الأخلاقية الهادفة لبناء المجتمع المسلم وصلاحه، وأن كلتا السورتين تضمنتا أفضل أساليب التربية الأخلاقية والقواعد الاجتماعية.

وأوصي أهل العلم وذوي الاختصاص في مجال الأخلاق الاهتمام بوضع مساقات للأخلاق مستقلة تعلم أولادنا، وترقى بهم إلى أسمى القيم، وعقد الاجتماعات والمشورات لحل أزمة الأخلاق التي يعاني منها مجتمعنا اليوم.

The Ethical Rules of the Muslim Community through Luqman and Al-Hujurat "Comparative Objective Study"

Prepared by student: Maryam Mohammad Jumah Abed Lateef

Supervisor: Dr. Hatem Jalal Al-Tamimi

Abstract

This study handled The Ethical Rules of the Muslim Community through Luqman and Al-Hujurat, it uses and statement, state it reflects in building a community by which it has a great and benefit effects on the Muslim individed of goodness and prosperity which make him raise to the highest meaning of humanity.

The important of this study (research) lie in Surat Luqman and Alhujurat the social ethics of Muslim's community and how to build its relationship with other.

This study aims to clarify ethics and morals in surat Luqman and Alhujurat, and it's affect in building Muslim's society, emphasizing on the necessity of applying this rules and recommending to research to perfect society.

This study includes introduction, three chapters and conclusion, in the introduction talked about the reason of this study, its goals, important and limits, and the previous studies with clearing the research approach.

The study chapters talked in the first one about morals, identifying, slowing its effects, in chapter two it talked about ethic morals in Surat Luqman presented by Luqman recommendations to his son, and it's effects in building Muslim's community, in chapter three it talked about ethic rules in Al- Hujurat and its effects in building Muslim's community.

The conclusion presented the results that the researcher had concluded mainly in both Luqman and Al-Hujurat including as group of moral rules to building Muslim's community, and includes the best method in moral education and social rules.

People of science and specialist recommended in the field of moral to take care developing independent ethic courses to teach our children and raise them to the high values and hold consultations and meeting to solve the problems of ethics that our society suffers these days.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين دافع النقم، وواهب النعم، العزيز الوهاب، الذي لا يعز من عصاه، ولا يضل من اتبع هداه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي جاء بالهدى والنور، وعلى آله وصحبه الأخيار، الأئمة الأبرار، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وبهذين الأصلين اهتدت الأمة قديماً، وهما سبيل نجاتها في سائر الأزمان والأحوال، من تمسك بهما رشد واستقام، ومن ضل فقد غوى وهوى، ونحن اليوم نعيش في مجتمع لا يحسدنا عليه أحد؛ مليء بالفتن والمنكرات والشهوات، ولا سبيل للنجاة من هذه الفتن إلا بالعودة إلى منهج الله تعالى، وسنة نبيّه محمد ﷺ.

وقد جاء الإسلام بمنهجه القويم ليعمل على إرساء أصولٍ ثلاثة يقوم عليها المجتمع وهي: إصلاح العقيدة، وإصلاح الأخلاق، وإصلاح علاقة أفراده بعضهم ببعض؛ وذلك بتشريع أحكام وأمورٍ لا بد من الالتزام فيها، وأمور نهى الله عنها؛ لما فيها من آثار سيئة في إضعاف المجتمع المسلم وانحلاله، ولا يكمل ذلك إلا بالعودة إلى منهج الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ.

❖ **أهمية البحث**

1) تأتي أهمية البحث في أنه يتناول الآداب الاجتماعية الواردة في سورتي (لقمان والحجرات) للمجتمع المسلم وكيفية علاقاته مع الآخرين.

2) إظهار الضوابط والأوامر والنواهي التي وردتا في كلتا السورتين.

3) الالتزام بمنهج القرآن الكريم في أمورنا عامة، وفي أخلاقنا خاصة؛ لأن فيه صلاح البشرية في الدنيا والآخرة.

- **سبب اختيار البحث**

- الدافع الأساس للكتابة في هذا البحث الواقع الأليم الذي وصل إليه أبناء المجتمع المسلم؛ فالغالبية بعيدة كل البعد عن الالتزام بالضوابط والآداب والأخلاق التي وردت في كلتا السورتين إلا القليل.
- الجدّة في الموضوع؛ من خلال الجمع بين السورتين، واستخلاص ما فيهما من قواعد أخلاقيةٍ مهمَّةٍ.

❖ **الدراسات السابقة**

بعد اطلاعي على الدراسات السابقة في هذا الموضوع، لم أجد أي كتاب أو رسالة تجمع بين سورتي (لقمان والحجرات) معاً بهذا العنوان، إلا أنه توجد دراساتٌ مستقلةٌ تناولت سورة الحجرات، ومنها:

- كتاب (**سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية**) د. أحمد شحاته محمد علي، هذا الكتاب سار على منهج التفسير التحليلي، ثم استقرأ العبر والدرس. وأما ما يميز هذه الدراسة، فهو أنها دراسة لموضوع الأخلاق من خلال آيات سورة الحجرات، وتفسيرها

تفسيراً موضوعياً، مع الجمع والانتقاء والاختصار والتعليق والترجيح حسب ما يقتضيه المقام.

- كتاب **(في ظلال سورة الحجرات)** د. محمد عبد القادر أبو فارس، تناول فيه تفسير الآيات في سورة الحجرات، وبيان معانيها وأخذ العبر والدروس منها وكيفية علاج الأمور المنهي عنها.
- كتاب **(التربية الأخلاقية في ضوء سورة الحجرات)**، إعداد د. عبد السلام حمدان اللوح. يتناول فيه مفهوم التربية الأخلاقية وذكر مبادئها، وأسسها، ومراحلها، وأهميتها، فهو يهتم بإبراز الجانب التربوي ومناهج التربية الأخلاقية.

وأما ما يخص سورة لقمان، فلم أجد كتباً مستقلة تفسر سورة لقمان تفسيراً تحليلياً أو موضوعياً، وإنما عثرت على بعض الأبحاث العلمية ومنها:

- **(القيم التربوية المتضمنة في سورة لقمان من خلال وصاياه لابنه)**، وهو بحث مكمل لمتطلبات درجة الماجستير في التربية الإسلامية، في جامعة أم القرى، في المملكة العربية السعودية، نوقشت بتاريخ 1422/2/8هـ، وقام بإعدادها الطالب عبد العزيز عبد المحسن محمد أبو حسن، بإشراف الدكتور نجم الدين عبد الغفور الأنديجاني، ويتحدث فيه عن القيم التربوية وتعريفها وتعدادها كما وردت في السورة.
- بحث آخر مقدم لمؤتمر الإعجاز في القرآن بعنوان **(معجزة البناء القيمي للشخصية كما وردت في وصايا لقمان لابنه في القرآن)**، والذي عقد في كلية التربية الحكومية (غزة) المنعقد ما بين (10–12) صفر الخير 1420هـ، إعداد الدكتور زياد علي الجرجاوي، والدكتور جمال زكي أبو مرق، وقد تناولا الأبعاد الفرعية للتنظيم القيمي للشخصية كما

وردت في سورة لقمان وتوضيحها. ومنها البعد العاطفي، البعد السلوكي، البعد البيولوجي، والبعد السلوكي الأخلاقي.

- ويتبين للباحثة من خلال عنوان الرسالة (**القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم...**) بأنه لا توجد أي دراسة تجمع بين السورتين بهذا العنوان بالإضافة إلى الاختلاف في طريقة العرض وترتيب العناوين والفصول.

- **حدود البحث**

اقتصرت هذه الدراسة على القواعد الأخلاقية في سورتي لقمان والحجرات.

- **منهجية البحث**

اتبعت في هذه الدراسة على المناهج الآتية:

- المنهج الاستقرائي؛ وذلك باستقراء القواعد الأخلاقية الواردة في سورتي (لقمان والحجرات).
- المنهج الوصفي؛ وذلك بشرح تلك القواعد، وبيان أثرها في المجتمع المسلم.
- المنهج الاستنباطي؛ وذلك باستنباط ما يمكن استنباطه من تلك القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم من خلال سورتي (لقمان والحجرات).
- المنهج التاريخي؛ وذلك فيما يتعلق ببيان شخصية لقمان، والترجمة للأعلام الذين وردت أسماؤهم في الدراسة.

واتبعت خطواتٍ إجرائيةً في تطبيق ذلك وهي:

1) الرجوع إلى مصادر تفسير القرآن الأصيلة المعتمدة من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

2) كتابة آيات القرآن الكريم باعتماد الرسم العثمانيِّ، بخط مصحف المدينة النبوية.

3) تخريج الأحاديث النبوية الشريفة وعزوها إلى مصادرها الأصيلة مع الالتزام ببيان درجة صحة الأحاديث المخرجة من غير الصحيحين.

4) ترجمة الأعلام التي بحاجة إلى تعريف.

محتوى البحث:

جاءت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وقد قسمت الفصول إلى مباحث وقسمت المباحث إلى مطالب، وبعض المطالب اشتملت على مسائل، بالإضافة إلى قائمة بالمحتوى، وأخرى بالأعلام المترجم لهم في الحاشية، والفهارس العلمية وتشمل فهرس الآيات والأحاديث والأعلام وفهرس الموضوعات، وقائمة المراجع التي اعتمدتها في الرسالة.

❖ **الفصل الأول: التعريف بالأخلاق وبسورتي لقمان والحجرات**

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بالأخلاق
- المبحث الثاني: التعريف بسورة لقمان
- المبحث الثالث: التعريف بسورة الحجرات

❖ **الفصل الثاني: القواعد الأخلاقية في سورة لقمان**

وفيه أحدَ عشر مبحثاً:

- المبحث الأول: الحكمة وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الثاني: شكر نعم الله وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.

- المبحث الثالث: توحيد الله تعالى وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الرابع: بر الوالدين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الخامس: اتباع سبيل الصالحين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث السادس: مراقبة الله تعالى وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث السابع: الصلاة وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الثامن: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآثارهما في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث التاسع: الصبر وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث العاشر: التواضع وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الحادي عشر: غض الصوت وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.

❖ **الفصل الثالث: القواعد الأخلاقية من خلال سورة الحجرات**

وفيه اثنا عشر مبحثاً:

- المبحث الأول: عدم التقديم بين يدي الله ورسوله وآثار ذلك في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الثاني: غض الصوت في حضرة النبيﷺ وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.

- المبحث الثالث: التبين من الأخبار وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الرابع: الاصلاح بين المؤمنين المتخاصمين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الخامس: العدل والقسط وآثارهما في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث السادس: التآخي وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث السابع: السخرية واللمز والتنابز بالألقاب وآثارهما في هدم القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الثامن: اجتناب الظن السيء وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث التاسع: التجسس وآثاره في هدم القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث العاشر: الغيبة وآثارها في هدم القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- الحادي عشر: التعارف بين الناس وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الثاني عشر: القواعد الأخلاقية المشتركة بين كلتا السورتين (لقمان والحجرات)، والقواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة لقمان، والقواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة الحجرات

الخاتمة: وقد تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات المقترحة.

وفي الختام هذا عملي وجهدي الذي أسأل الله تعالى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله سبيلاً لتحصيل العلم والعمل الصالح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه على أشرف المعلمين وخير الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفصـل الأول

التعريف بالأخلاق وبسورتي لقمان والحجرات

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بالأخلاق
- المبحث الثاني: التعريف بسورة لقمان
- المبحث الثالث: التعريف بسورة الحجرات

تمهيد:

إن الأخلاق الإسلامية هي الأساس لرفعة المجتمع ونجاح أفراده فهي عماد الأمم وقوتها، فإذا كانت لبنات المجتمع المسلم قوية ومتينة يكون أفراده أمّةً قويةً متماسكة لا تؤثر بها الشهوات والأهواء.

فالأخلاق الإسلامية صالحة للناس كافة في كل زمان ومكان، لأن مصدرها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. فالمجتمع الذي لا يلتزم أفراده بهذه الأخلاق، فهو مجتمع عرضة للانهيار وانتشار الفساد.

وسيتناول هذا الفصل، التعريف بالأخلاق، وفضلها، وبيان أثرها في المجتمع المسلم، والتعريف بسورتي (لقمان والحجرات)، وذكر الموضوعات التي اشتملت عليها السورتان.

المبحث الأول

التعريف بالأخلاق لغة واصطلاحاً

موضوع الأخلاق يدور حول الفضائل والالتزام بها، ومعرفة الرذائل واجتنابها، ولنا الأسوة الحسنة في صاحب الخلق العظيم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]. فكان عليه الصلاة والسلام بأخلاقه الإسلامية قرآناً يمشي على الأرض، وسيتناول هذا المبحث ثلاثة مطالب، التعريف بالأخلاق لغة واصطلاحاً، وبيان فضلها، وأثرها في المجتمع المسلم.

- **المطلب الأول: تعريف الأخلاق لغة.**

قال الراغب الأصفهاني: "الخَلْقُ والخُلْق في الأصل واحد، لكن خُصَّ الخَلْق بالهيئات والصور وخصَّ الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة"[2].

وقال الجوهري: "الخلق بسكون اللام وضمها السجية" ويقال خالص المؤمن وخالق الفاجر، وفلان يتخلق بغير خلقه: أي يتكلفه[3].

وقال ابن منظور: الخُلُق جمع أخلاق، والخُلْق، السجية، يقال خالق المؤمن وخالق الفاجر، والخلق: الدين والطبع والسجية، وحقيقته: أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافه ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة[4].

---

(1) سورة القلم، آية4.
(2) الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد (ت425هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت، ط بدون، ص158.
(3) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393هـ)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط (4)، 1407هـ- 1987م، (1417/4).
(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط (1)، (85/10).

وعرفه الفيروزأبادي بقوله: الخُلُق: السجية والطبع، والمروءة والدين[1].

- **المطلب الثاني: التعريف بالأخلاق اصطلاحاً.**

الخُلُق عرّفه ابن مسكويه بقوله: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجةٍ إلى فكرٍ ورويَّةٍ"[2]. وزاد الجرجاني على هذا التعريف قوله: "فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً"[3].

وعرف ابن القيم الخلق بقوله: "هيئةٌ مركبةٌ من علوم صادقة وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة، وأقوال مطابقة للحق"[4].

فالأخلاق مفهوم يبحث في الخير والحسن، ويتقرب به إلى الله، كما يبحث في الشر والقبح ويبتعد عنه، ومن هنا تدخل العملية الأخلاقية في جميع العلاقات الإنسانية، والإنسان (الخلوق) هو الإنسان الخير في حياته الظاهرة والباطنة، الخاصة والعامة لنفسه ولغيره، لجماعته ومجتمعه على حد سواء[5].

---

(1) الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط (8)، 1426هـ-2005م، ص881.

(2) ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت427هـ)، تهذيب الأخلاق، تحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل، بغداد-بيروت، ط (1)، ص265.

(3) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، حققه: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (1)، 1403هـ-1983م، ص651.

(4) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت751هـ)، بدائع التفسير، تحقيق: يسري السيد وصالح الشامي، دار ابن الجوزي، ط (1)، 1427م، (183/3).

(5) ناصر، إبراهيم بن عبدالله، التربية الأخلاقية، الجامعة الأردنية، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، ط (1)، 2006م، ص23.

والتعريف المختار للأخلاق لدى الباحثة أنها: عبارةٌ عن هيئة مركبة تشمل الأقوال والأفعال والأعمال الظاهرة والباطنة الصادرة عن المسلم من غير حاجة إلى فكر وروية، المطابقة للحق، في جميع علاقاته الإنسانية، والتي تحثنا على التحلي بالفضائل وترك الرذائل.

- **المطلب الثالث: فضل الأخلاق في الإسلام، وبيان أثرها في المجتمع.**

للأخلاق الإسلامية الرفيعة أهمية في بناء الشخصية الإسلامية الحقة، ولا بد للمجتمع المسلم من التحلي بهذه الأخلاق السامية؛ لأنها ترقى به إلى أعلى مراتب الإنسانية، وقد بين لنا رسول الله الكريم ﷺ فضل هذه الأخلاق والالتزام بها فقال عليه السلام: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»[1]. ويقول عليه الصلاة والسلام: «خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا»[2]. وسُئِلَ أيضاً: «أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وسُئِلَ عن أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النار، فقال: الفم والفرج»[3].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في أعلى الجنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقه»[4]. وزعيم تعني "ضامن".

وأما أثر الأخلاق في المجتمع المسلم فهي أساس قيام حضارته وقوته؛ فإذا كانت أخلاق أبنائه صالحة كانت لبنات المجتمع المسلم قوية ومتينة، وكوّن أفراده أمةً قويةً متماسكة لا تؤثر فيها الأهواء.

---

(1) أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، (400/4)، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، رقم الحديث (4801)، الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، دار المعارف- الرياض، ط (1)، 1416-1996م، (450/2)، رقم الحديث (876).

(2) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، سنن الترمذي (ت279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (349/4)، كتاب البر والصلة، باب الفحش، رقم الحديث (1975)، قال أبو عيسى: حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (285/1)، رقم الحديث (286).

(3) الترمذي، سنن الترمذي، (363/4)، كتاب البر والصلة، باب حسن الخلق، رقم الحديث (2004)، قال أبو عيسى: صحيح غريب، وقال الألباني: في السلسلة الصحيحة (669/2)، رقم الحديث (977) حسن الإسناد.

(4) أبي داود، سنن أبي داود، (400/4)، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، رقم الحديث (4802)، قال أبو عيسى: حسن صحيح.

وتظهر آثار الأخلاق جلية في سلوك الأفراد وسلوك المجتمع، أما أثرها في سلوك الفرد فما تزرعه في نفس صاحبها من قيم أخلاقية سامية تكون سبباً في نجاحه وفلاحه، وأما أثرها في سلوك المجتمع، فهي الأساس لبناء المجتمعات الإنسانية إسلامية كانت أو غير إسلامية[1]. ومن أظهر آثار الأخلاق في المجتمعات والأفراد:

- إنّ الأخلاق هي رافعة المجتمع، وعندما تكون موجودة في سلوكيات المجتمع، فهذا يعني أنه مجتمع متمدن متحضر يسعى للتقدم، والرفعة بين الأمم.
- إنّ الأخلاق معيار بقاء الأمم والحضارات.
- إنّ الالتزام بمكارم الأخلاق يؤدي إلى تقدم المجتمع وسعادته، وأنّ الغرب ما تفوقوا علينا إلا باتخاذهم بعض المكارم التي أمرنا الله بها.
- إنّ مكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية؛ لأن فيها صلاح الفرد الذي هو أساس المجتمع.
- إنّ المتخلق بمكارم الأخلاق يؤدي ما عليه من حقوق الله عز وجل، وحقوق الناس، ويعطي كل ذي حق حقه.
- إنّ المتخلق بمكارم الأخلاق يظفر بمرضاة الله تعالى وبسعادة معجلة في الدنيا، ومؤجلة في الآخرة.
- إنّ الالتزام بمكارم الأخلاق سبب لمحبة الله تعالى.
- تحلّي المسلم بالأخلاق الحسنة من أكثر ما يدخل الناس الجنة؛ لأنها طاعة لله ورسوله.

(1) الخراز، خالد بن جمعة بن عثمان، موسوعة الأخلاق الإسلامية، الدرر السنية، مكتبة أهل الأثر، ط (1)، 1430هـ-2009م، ص33.

- أنها سبب لمحبة رسول الله ﷺ، وأثقل شيء في الميزان، وصاحب الخلق من خيار الناس.
- أنها سبب تأييد الله ونصره[1].
- أنها تكسب صاحبها الالتزام والتقدير، وترغّبُ الناس في مجالستهم ومحاكاتهم، والاقتداء بهم.

(1) الخزاز، موسوعة الأخلاق، الدرر السنية، ص34-35.

المبحث الثاني

التعريف بسورة لقمان

هذه السورة الكريمة (سورة لقمان) من السور المكية، التي تعالج موضوع العقيدة في النفوس، وتركز على قصة لقمان الحكيم مع ابنه، ولهذا سميت بهذا الاسم، وبهذا الاسم عرفت بين القراء والمفسرين؛ لاشتمالها على قصة لقمان الحكيم، والتي تضمنت فضيلة الحكمة، وسر معرفة الله وصفاته، وذم الشرك، والأمر بمكارم الأخلاق، والنهي عن القبائح والمنكرات.

وستبين الباحثة في هذا المبحث تسمية السورة وترتيبها، وأسباب نزولها، ومناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها، والموضوعات التي اشتملت عليها، والتعريف بشخصية لقمان الحكيم، وذلك عبر المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: تسمية السورة، وترتيبها، وعدد آياتها.**

سميت هذه السورة بإضافتها إلى لقمان؛ لأن فيها ذكراً للقمان وحكمته، وجملاً من حكمه التي أدب بها ابنه، وليس لها اسم غير هذا الاسم، وبهذا الاسم عرفت بين القراء والمفسرين[1]. ولاشتمالها على قصته التي تضمنت فضيلة الحكمة، وسر معرفة الله تعالى وصفاته، وذم الشرك، والأمر بالأخلاق والأفعال الحميدة، والنهي عن الأخلاق الذميمة، وهي معظمات مقاصد القرآن[2].

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت1393هـ)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر، تونس، (137/21).
(2) القاسمي، محمد جمال الدين (ت1332هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط (1)، (24/8).

وهذه السورة، هي السابعة والخمسون في تعداد نزول السور في المصحف الشريف، نزلت بعد سورة الصافات، وقبل سورة سبأ، وأما ترتيبها في المصحف فهي إحدى وثلاثون في ترتيب السور جاءت بين سورة الروم التي قبلها وسورة السجدة بعدها.

وأما عدد آياتها فهي ثلاث وثلاثون في العدِّ المكي والمدني، وأربع وثلاثون في عدِّ الباقين. اختلافها (ألم)؛ عدها الكوفي ولم يعدها الباقون[1].

وقال ابن عاشور هي مكية كلها عند ابن عباس، وعليه إطلاق جمهور المفسرين، وعن ابن عباس من رواية النحاس[2] استثناء ثلاث آيات من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٩﴾، وعن قتادة[3] إلا الآيتين إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾.

وذلك مروي بأسانيد ضعيفة، وعلى تسليمها فقد أجيب بأن اليهود جادلوا في ذلك ورسول الله ﷺ بمكة بأن لقنوا ذلك وفداً من قريش وفد إليهم إلى المدينة، وهذا أقرب إلى التوفيق بين الأقوال، وهذه الروايات وإن كانت غير ثابتة بسند صحيح إلا أنّ مثل هذا يكتفى فيه بالمقبول في الجملة[4].

---

(1) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت444هـ)، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط (1)، 1414هـ-1994م، ص205.

(2) النحاس، العلامة، إمام العربية أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، ارتحل إلى بغداد وأخذ عن الزجاج، ومن كتبه إعراب القرآن، المعاني، الكافي، توفي سنة ثمان وثلاثمائة من ذي الحجة، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط بدون، 1422هـ-2001م، (401/15).

(3) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزير، أبو الخطاب السدوسي البصري الأعمى، كان قتادة عالماً بالتفسير وباختلاف العلماء ووصفه أحمد بالفقه والحفظ، وأطنب في ذكره، قال: قلما تجد من يتقدمه، توفي سنة سبع عشرة هجري وعمره ست وخمسون عاماً، ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط (1)، (301/3).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (138/21).

- **المطلب الثاني: سبب نزول سورة لقمان .**

بعض الآيات من سورة لقمان ورد أنّ لها أسباب نزول، ومن هذه الآيات:

- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ [1].

✓ قال الكلبي[2] ومقاتل[3]: نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان يخرج تاجراً إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها، ويحدِّث بها قريشاً، ويقول لهم: إنَّ محمداً يحدّثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسنفديار، وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه[4]، ويتركون استماع القرآن، فنزلت هذه الآية[5].

✓ وقال مجاهد[6]: نزلت في شراء القيان والمغنيات[7]، ومفردها قَيْنة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [8].

---

(1) سورة لقمان، آية6.
(2) الكلبي: العلامة الأخباري النسابة، أبو المنذر هشان بن الأخباري محمد بن السائب بن بشير الكلبي، الكوفي الشيعي، أحد المتروكين كأبيه، قال عنه الإمام أحمد: إنما كان صاحب سمر ونسب، وما ظننت أن أحداً يحدث عنه، وقال عنه الدار قطني: متروك الحديث، مات سنة (204هـ)، الذهبي، سير أعلام النبلاء (101/10)، وحديثه مرسل؛ لأنه متهم بالكذب ولا يؤخذ بروايته.
(3) مقاتل: أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، الأزدي بالولاء الخراساني المروزي، كان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز، وله تفسير مشهور، أخذ الحديث عن مجاهد بن جبر، وعطاء بن رباح، وأبي إسحاق، والضحاك بن مزاحم، والزهري، كان من العلماء الأجلاء، ابن خلكان، محمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط1، (255/5).
(4) الواحدي، الإمام علي بن أحمد بن محمد (ت468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط بدون، 1422هـ-2001م، ص356.
(5) مرسل، فالكلبي ومقاتل متهمان بالكذب وعليه فهذه الرواية ضعيفة.
(6) مجاهد: شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن ابن عباس ﷺ وأخذ عنه القرآن والتفسير والفقه، وعن عائشة، وأبي هريرة، وابن عمر الذهبي (ت804هـ)، سير أعلام النبلاء، (405/4).
(7) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص356، وهو مرسل.
(8) سورة لقمان، آية13.

وجاء في صحيح البخاري[1] عن علقمة عن عبد الله قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[2]، وشق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال ليس كما تقولون ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ الشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه[3] ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [4].

ودلَّ عليه الحديث في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود [5].

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [6].

قال الواحدي، نزلت في سعد بن أبي وقاص، واستشهد بها في سورة العنكبوت[7] حيث جاء في سبب نزول هذه الآية ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ ... ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [8].

وعن سعد بن أبي وقاص[9]، عن أبيه، أنه قال: أنزلت هذه الآية فيّ، قال: حلفت أم سعد لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب، ومكثت ثلاثة أيام حتى غشي عليها من الجهد، فأنزل[10] الله تعالى ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ [11].

رواه مسلم عن أبي خيثمة[12].

---

(1) البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل (ت156هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى البغا، دار طوق النجاة، بيروت، ط (1)، 1422هـ- 1987م، كتاب التفسير، باب (ولقد آتينا لقمان الحكمة)، رقم الحديث (3428).
(2) سورة الأنعام، آية82.
(3) شلبي، حسن عبد المنعم، الجامع في أسباب النزول، خرج أحاديثه موفق منصور، مؤسسة الرسالة، 1432هـ-2011م، ط (1)، ص398، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (155/21).
(4) سورة لقمان، الآية13.
(5) مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح (114/1)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الإيمان والإخلاص، باب صدق الإيمان وإخلاصه، رقم الحديث (124).
(6) سورة لقمان، الآيتان (14، 15).
(7) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص357.
(8) سورة لقمان، الآيتان (14، 15).
(9) سعد بن أبي وقاص: هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين، كان يقال له: فارس الإسلام، وهو أول من رمى سهماً في سبيل الله، وكان مجاب الدعوة، وشهد بدراً، توفي سنة خمس وخمسين، انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، (490/2).
(10) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص351، وانظر: شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص392، الوادعي، أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي، المسند من أسباب النزول ، دار ابن حزم، ط (2)، 1415هـ-1994م ص180-181.
(11) سورة العنكبوت، آية8.
(12) مسلم، صحيح مسلم (125/7)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص، رقم الحديث (6391).

فهذا يعني ان كلتا الآيتين في سورتي لقمان والعنكبوت، تتحدثان عن الوالدين وكلتاهما نزلت في سعد بن أبي وقاص. وهذا ما بينه واستشهد به الواحدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[1].

قال المفسرون، سألت اليهود الرسول ﷺ عن الروح فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [2]، فلما هاجر إلى المدينة أتاه أحبار اليهود فقالوا: ألم يبلغنا عنك أنك تقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال: كلاً عنيت، قالوا: فإنك تتلو أنّا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ، هي في علم الله قليل، ولقد أتاكم الله تعالى ما إن علمتم به انتفعتم به فقالوا: يا محمد: كيف تزعم هذا، وأنت تقول: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً"، كيف يجتمع هذا علم قليل، وخير كثير، فأنزل الله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[3].

وأخرج ابن جرير عن عكرمة[4] قال: سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ، فقالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلا، وقد أوتينا

(1) سورة لقمان، آية27.
(2) سورة الإسراء، آية85.
(3) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص358، وانظر: شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص398-399، وذكر بدون إسناد، ولم يسمع له راوٍ، فالرواية ضعيفة.
(4) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي، الرئيس، الشهير، المكي، لما قتل أبوه تحولت رئاسة بني مخزوم إلى عكرمة، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه فنزل يوم اليرموك فقاتل حتى قتل ووجدوا به بضعاً وسبعين طعنة ورمية، الذهبي، سير أعلام النبلاء (324/1).

التوراة، وهي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت الآية[1]: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ ...﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن مجاهد قال: جاء رجل من أهل البادية فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني بما تلد؟ وبلادنا مجدبة، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدتُ، فأخبرني متى أموت؟[3] فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾.

- **المطلب الثالث: زمن نزول السورة والجو الذي نزلت فيه.**

هذه السورة مكية نزلت بمكة إلا ثلاث آيات، وأخذت تعالج قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة، وهذه القضية تتلخص في توحيد الخالق وعبادته وحده وشكر الله على آلائه، وبيان قدرته وعظمته تظهر ظهوراً جلياً في سورة لقمان ووصاياه لابنه[4].

ويظهر جلياً أن بعض وصايا لقمان ومواعظه كانت متداولة الذكر بين الملأ من أهل مكة في مجالسهم ويستشهدون بها ويثنون على حكمته[5].

(1) الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر (125/20)، ط (1)،1420هـ-2000م.
(2) سورة لقمان، آية34.
(3) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (ت327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ، ط (3)، (3101/9)، الطبري، جامع البيان، (160/20)، الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص359، ولم يسم الواحدي من رواه، وهذا مرسل.
(4) قطب، سيد إبراهيم حسن، في ظلال القرآن، دار الشروق- القاهرة، ط (3)، 1422هـ-2001م، (2780/5).
(5) حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، معارج التفكر ودقائق التدبر، 1425هـ-2000م، دار القلم- دمشق، ط (1)، (678/11).

ويظهر للباحثة أن المسلمين كانوا في بداية دعوتهم أقلاء وضعفاء، وكان المشركون يعرضون عن آيات الله واتباع سبيله ويميلون لسماع اللهو والغناء وأخبار الأعاجم.

- **المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها.**

تظهر صلة هذه السورة بسورة الروم التي قبلها من وجوه:

1- قال تعالى في آخر السورة السابقة: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾[1] إشارة إلى كون القرآن معجزة، وقال في مطلع هذه السورة: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾[2].

2- كذلك قال سبحانه في آخر السورة المتقدمة: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾[3] إشارة إلى أن المشركين يكفرون بالآيات، وقال في هذه السورة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾[4].

3- ذكر في سورة الروم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾، وقد فسر بالسماع في لقمان: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾[5]، وقد فسر بالغناء وآلات الملاهي[6].

---

(1) سورة الروم، آية58.
(2) سورة لقمان، الآيتان (2، 3).
(3) سورة الروم، آية58.
(4) سورة لقمان، آية7.
(5) سورة لقمان، آية 6.
(6) الزحيلي، وهبة بن مصطفى (2015)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر- بيروت، دمشق، ط بدون، 1418هـ، (126/2).

4- وصف الله سبحانه وتعالى قدرته على بدء الخلق والبعث في كلتا السورتين فقال في السورة السابقة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾[1] وقال هنا: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٢٨﴾[2].

5- أثبت الله سبحانه وتعالى في كلتا السورتين إيمان المؤمنين بالبعث، فقال في السورة السابقة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦﴾ [3]، وهذا عين إيقانهم بالآخرة المذكورة في مطلع هذه السورة: ﴿...وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [4].

6- حكى الله سبحانه وتعالى في السورتين ما عليه حال المشركين من القلق والاضطراب، إذ يضرعون إلى الله في وقت الشدة، ويكفرون به وقت الرخاء، فقال في السورة المتقدمة: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [5]، وقال في هذه السورة: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [6].

7 - أنه تعالى قال: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ٥٨﴾[7]، فأشار إلى ذلك بقوله: ﴿الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[8].

---

(1) سورة الروم، آية27.
(2) سورة لقمان، آية28.
(3) سورة الروم، آية56.
(4) سورة لقمان، آية4.
(5) سورة الروم، آية33.
(6) سورة لقمان، آية32.
(7) سورة الروم، آية58.
(8) سورة لقمان، الآيتان (1، 2).

وكان في آخر تلك: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] وتلك إشارة إلى البعيد، فاحتمل أن يكون ذلك لبعد غايته وعلو شأنه[2].

- **المطلب الخامس: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة لقمان.**

سورة لقمان من السور المكية، لذلك نجدها تعالج قضية العقيدة في نفوس المشركين وتؤكد على ضرورة ترسيخ العقيدة الصحيحة في النفوس، وهذه القضية تتلخص في توحيد الخالق وعبادته وحده، وشكره، وفي اليقين بالآخرة، وفي اتباع ما أنزل الله وهذا موضوع السورة الرئيس الذي تنبثق منه عدة مقاصد وأهداف منها:[3]

- بيان معجزة النبي الخالدة وهي القرآن الكريم، وموقف الناس منه، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [4].

- الحديث عن أدلة الوحدانية والقدرة العظيمة لله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[5].

- النعي على الكفار في تقليدهم الآباء وجحودهم نعم الله الكثيرة، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [6].

---

(1) سورة لقمان، الآية7.
(2) أبو حيان، محمد بن يوسف الغرناطي، البحر المحيط، تحقيق: دار الكتب العلمية- لبنان، ط (3)، (178/7).
(3) شحاته، د. عبد الله محمود (ت1423هـ)، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط بدون، 1981م، (293/1).
(4) سورة لقمان، الآيات (1-5).
(5) سورة لقمان، آية (9).
(6) سورة لقمان، الآيتان (6، 7).

- الأمر بالتقوى والخوف من عذاب يوم القيامة الذي لا بد من إتيانه، ولا أمل فيه بنصرة أحد وعدم الاغترار بمتاع الدنيا وزخرفها، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ [1]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾[2][3].
- بيان مفتاح الغيب وأن الله محيط علمه بالكائنات جميعها[4]، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ۖ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [5].

جاء أيضاً في سورة لقمان أنها تتناول وصاياه ومواعظه المأخوذة من كلام النبوات السابقات.

- **المطلب السادس: التعريف بشخصية لقمان.**

<u>اسمه وصفاته ومهنته:</u>

- لقمان: اسم علم مادته مادة عربية، مشتق من اللقم، والأظهر أن العرب عربوه بلفظ قريب من ألفاظ لغتهم على عادتهم، كما عرّبوا شاول باسم طالوت، وهو ممنوع من الصرف، لزيادة الألف والنون لا للعجمية[6].

(1) سورة لقمان، الآيتان (22، 23).
(2) سورة لقمان، آية (33).
(3) التفسير المنير، (126/21).
(4) الزحيلي، التفسير المنير، (126/21-127).
(5) سورة لقمان، آية34.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (151/10).

- وذكر ابن منظور اسم (لقمان) من باب (لقم)، وقال (لُقيم) تصغير لقمان[1].
- وجاء في كتب التفسير أن لقمان هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح وهو آزر أبو أبراهيم، وقيل بن عنقاء بن سرون، وقيل كان ابن أخت أيوب، وقال مقاتل: انه كان ابن خالة أيوب عاش ألف سنة، وأدركه داود عليه السلام وأخذ عنه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود، فلما بعث قطع الفتوى، فقيل له، فقال: لا أكتفي إذ كُفيت[2].
- وجاء في (البداية والنهاية) أنه لقمان بن عنقاء بن سرون، ويقال: لقمان بن ثاران، وكان قاضياً زمن داود. وقال السهيلي[3]: كان نوبياً من أهل أيلة، وكان رجلاً صالحاً ذا عبادة، وحكمة عظيمة[4].
- وقيل كان لقمان عبداً حبشياً لرجل من بني إسرائيل، فأعتقه وأعطاه مالاً، وكان في زمن داود عليه السلام، واسم أبيه ثاران[5].

وبعد عرض آراء المفسرين ترى الباحثة أن لقمان مادته عربية، ومن أصل عربي؛ لوجود اشتقاق له في العربية، وعلى الرغم من اختلاف اسم والده باعوراء أو عنقاء أو ثاران، فالذي يهم الباحثة هو اسم لقمان كما ورد في القرآن الكريم ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾[6].

(1) ابن منظور، لسان العرب، (546/12).
(2) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط (1)، 1427هـ-2006م، (46/16-468)، وانظر: الألوسي، روح المعاني (82/8)، وأبو حيان، البحر المحيط، (181/7).
(3) السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن الخطيب بن سعدون بن رضوان بن فتوح السهيلي، وهو الداخل إلى الأندلس صاحب الكتاب المشهور (الروض الأُنف) في شرح سيرة الرسول ﷺوله مسائل كثيرة مفيدة منها مسألة رؤية الله تعالى في المنام، ورؤية الرسولﷺ، ومسألة السر في عور الدجال. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (143/3).
(4) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل (ت774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط (1)، 1966م، (145/2).
(5) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، 213هـ-889م، ط(4)، ص1.
(6) سورة لقمان، الآية12.

وأمّا صفاته، فمن صفاته الخِلْقية كما جاء في كتب التفسير، وبعض كتب التاريخ:

- كان لقمان أسود من سودان مصر ذا مشافر[1]كان نوبياً[2] مشقق الرجلين[3].
- وذكر ابن كثير، أنه كان عبداً أسوداً، غليظ الشفتين، مصفح القدمين[4].
- وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن الزبير قال: قلت لجابر: ما انتهى إليكم من شأن لقمان؟ قال: كان قصيراً، أفطس[5] من النوبة[6].

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب[7] قال: كان لقمان من سودان مصر، ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنحه النبوة.

وقال الأوزاعي[8]: جاء أسود إلى سعيد المسيب يسأله، فقال له سعيد: "لا تحزن من أجل أنك أسود، فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان: بلال بن رباح، وسجع مولى عمر، ولقمان الحكيم، كان أسود نوبياً ذا مشافر[9].

(1) مشافر: من شُفُر العين، ما نبت عليه الشعر في الجفن (الأهداب)، ولا يقال مشفر إلا للبعيد وقيل شافر الجيش، ابن منظور، لسان العرب (774/1).
(2) نوبياً: من النوب والنوبة، جيل من السودان الواحد نوبي وسميت نوبا، لأنها تضرب إلى السودان. ابن منظور: لسان العرب، (774/1).
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (468/16)، الألوسي، روح المعاني (82/8)، أبو حيان، البحر المحيط (181/7)، ابن كثير، البداية والنهاية (145/2).
(4) ابن كثير، البداية والنهاية (145/2).
(5) أفطس: فطس، عرض قصبة الأذف، وطمأنينتها، وقيل الفطس: انخفاض قصبة الأنف وانتشارها، ابن منظور، لسان العرب (164/6). وهي صفة للأنف تعني انخفاض ارتفاع الأنف وانتشاره.
(6) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (3097/3)، وابن كثير، البداية والنهاية (145/12).
(7) أبو محمد سعيد بن المسيب بن أبي وهب ابن مخزوم القرشي المدني، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان سيد النابغين، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع، وأكثر روايته المسند عن أبي هريرة، وكان زوج ابنته، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، (375/2).
(8) الأوزاعي: ولد في حياة الصحابة، حدث عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة، ونافع مولى ابن عمر، كان خيّراً فاضلاً، كثير العلم والفقه والحديث، كان الناس يقولون عنه: عالم الأمة، أو عالم أهل الشام، وكان أفضل أهل زمانة، الذهبي، سير أعلام النبلاء (108/7-112).
(9) ابن كثير، البداية والنهاية (145/12).

ومن صفاته الخُلُقية ما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء ﷺ أن لقمان كان رجلاً صمصامة[1]، سكيّتاً[2]، طويل التفكر، عميق النظر، لم ينم نهاراً قط، ولم يره أحد يبزق، ولا يتنحنح، ولا يبول، ولا يتغوط، ولا يغتسل ولا يعبث، ولا يضحك، وكان لا يعيد منطقاً نطقه، إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد، وكان قد تزوج، ومات أولاده، ولم يبك عليهم، وكان يغشى السلطان، ينظر ويتفكر[3].

ومن صفاته الخلقية أيضاً صدق الحديث، وأداء الأمانة، وغض الطرف، وإكرام الضيف، وترك ما لا يعنيه، وكف اللسان، وحفظ الجار، والوفاء بالعهد[4].

مهنته:

- اختلف في مهنته ما بين العبد الحبشي النجار، والقاضي لبني إسرائيل، والخياط، وراعي الغنم، وكان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة حطب، وكان عبداً حبشياً نجاراً، وأنه كان قاضياً لبني إسرائيل وقيل كان خياطاً[5]، وأنه عاش ألف سنة، وأنّه نودي بالخلافة قبل داود عليه السلام[6].

وبعد عرض هذه الأقوال يتلخَّص أنّ لقمان كان خياطاً، وكان راعي غنم، وكان حطاباً، وكان نجاراً، وكان نجاداً، ولا مانع حسب رأي الباحثة أن يزاول هذه المهن في أوقات مختلفة من

(1) صمصامة: صمصام السيف الذي لا ينثني، ورجل صمصام وصمصامة، الشديد الصلب وقيل المجتمع الخَلْق، ابن منظور، لسان العرب (342/12).
(2) سكيّتاً: كثير السكوت، وساكوت، إذ كان قليل الكلام من غير عَيٍّ، فإذا تكلم أحسن، ابن منظور، لسان العرب (34/2).
(3) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419 هـ. (9/ 3098)، وانظر، ابن كثير، البداية والنهاية، (147/2).
(4) ابن كثير، البداية والنهاية، (146/2).
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (469/16)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (150/10)، وأبو حيان، البحر المحيط، (181/7)، السيوطي، الدر المنثور، (310/5-311).
(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (46/16)، أبو حيان، البحر المحيط، (181/7).

حياته الطويلة؛ فقد عاش ألف عام بحسب ما ذكر في كتب التفسير، وهذا عمر طويل يستطيع أن يمارس فيه عدة مهن في حياته، ولا تعارض مع القضاء والإفتاء؛ لأن لقمان كان يمارس هذه الأعمال في أول حياته، ثم آتاه الله الحكمة، فأصبح قاضياً يفتي بين الناس، والله أعلم.

مسألة: تحقيق القول في نبوة لقمان أوحكمته:

- اختلفت الأقوال عند المفسرين في أن لقمان كان نبياً أو حكيماً، ومن هذه الأقوال:
- قول سعيد بن المسيب: "أعطاه الله الحكمة، ومنعه النبوة"[1]. وقال ابن كثير في تفسيره: "اختلف السلف في لقمان: هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين الأكثرون على الثاني"، يعني أنه كان رجلاً صالحاً وليس نبياً، ويقول ابن كثير في تفسيره، "ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً"[2].
- وقال ابن عاشور[3]: "اختلف السلف في أن لقمان المذكور في القرآن كان حكيماً أو نبياً، فالجمهور قالوا: كان حكيماً صالحاً".
- وظاهر الآيات المذكورة في قصته أن لم يكن نبياً؛ لأنه لم يمتن عليه بوحي ولا بكلام الملائكة، والاقتصار على أنه أوتي الحكمة يومئ إلى أنه أُلْهِمَ الحكمة، ونطق بها، ولأنه لما ذكر تعليمه لابنه قال تعالى: "وهو يعظه"؛ وذلك مُؤْذِنٌ بأنّه تعليمٌ لا تبليغُ تشريع.
- ذهب فريق من العلماء إلى أن لقمان كان نبياً، ومن الذين قالوا إن لقمان كان نبياً عكرمة[4] والشعبي[5].

(1) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (9/ 3097). والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، (468/16).
(2) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل القرشي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب المصرية، ط بدون، (345/1).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (67/21-68)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (468/16).
(4) سبقت ترجمته.
(5) الشعبي عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، قيل من أقيال اليمن، علامة العصر أبو عمر والهمذاني ثم الشعبي، كانت أمه من سبي جلولا، مولده: في إمرة عمر بن الخطاب لست سنين خلت منها، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (294/4).

ويقول ابن عاشور: إن لفظ «الحكمة» يسمح بهذا القول؛ لأن «الحكمة» فسرت بالنبوة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، وإن الحكمة: "معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه" وأعلاها النبوة؛ لأنها علم بالحقائق مأمونة من أن يكون مخالفاً لما هي عليه في نفس الأمر، والنبوة متلقاة من الله عز وجل[2].

- وقال ابن كثير في تفسيره: "والصحيح أن الحكمة –كما قاله– الجمهور لا تختص بالنبوة؛ بل هي أعم منها؛ إذ النبوة متلقاة من الله"[3].
- وذكر القرطبي في تفسيره عن قتادة: أن الله تعالى خيّر لقمان بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة على النبوة، فأتاه جبريل عليه السلام وهو نائم فذر عليه الحكمة، فأصبح وهو ينطق بها، فقيل له: كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيّرك ربك؟ فقال: إنه لو أرسل إليّ بالنبوة عزمةً لرجوت فيها العون منه ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة، فكانت الحكمة أحبَّ إلي[4].

والراجح لدى الباحثة بعد عرض آراء المفسرين أنه رجل صالح؛ كما قال ابن كثير: "والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيماً ولياً ولم يكن نبياً"[5]، ولأن إثبات النبوة لأحدٍ من الناس يحتاج إلى دليل صريح، وهو إما آيةٌ، أو حديثٌ صحيحٌ مرفوعٌ، ولا نملك دليلاً بحق لقمان يشهد له بالنبوة، ونرجح بأنه رجل حكيم وصالح لما ورد من آراء المفسرين آنفاً.

(1) سورة البقرة، آية269.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (150/21).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (345/1).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (469/16)، السيوطي، الدر المنثور، (312/5).
(5) ابن كثير، البداية والنهاية، (146/2).

المبحث الثالث

التعريف بسورة الحجرات

سورة الحجرات هي سورة الأخلاق، وهي جديرة بالدراسة والبحث والتفسير؛ ليقف المسلم على أحكامها ويتخلق بآدابها، وينأى عن الأخلاق الذميمة، ويتناول هذا المبحث خمسة مطالب منها: تسمية السورة، وترتيبها، وعدد آياتها، وأسباب نزولها، والموضوعات التي اشتملت عليها وهي على النحو الآتي:

- **المطلب الأول: تسمية السورة، وترتيبها، وعدد آياتها.**

- سورة الحجرات سورة مدنية تناولت عدة موضوعات، وعالجت مجموعة من القضايا العقدية والإيمانية، وتناولت قضايا تنظيمية في البناء الاجتماعي الضرورية لبناء الدولة الإسلامية.
- سورة الحجرات مدنية باتفاق، أي مما نزل بعد الهجرة، وسميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير "سورة الحجرات"، وليس لها اسم غيره، ووجه التسمية أنها ذكر فيها لفظ "الحجرات"، ونزلت في قصة نداء بني تميم رسول الله ﷺ من وراء حجراته، فعرفت بهذه الإضافة.
- وهي السورة الثامنة بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة المجادلة، وقبل سورة التحريم، وكان نزول هذه السورة سنة تسع، وأول آياتها في شأن وفد بني تميم، وعدّ جميع العادين آيها ثمان عشرة آية.
- وهذه السورة هي أول سور المفصل على الراجح من أقوال الفقهاء، والمفصل هو السور التي تستحب القراءة ببعضها في بعض الصلوات على ما هو مبين في كتب الفقه[1].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (26/213-215).

- وأما تعدادها في الترتيب المصحفي فهي التاسعة والأربعون، جاءت بين سورة (الفتح)، وسورة(ق).
- والحجرات لغةً مأخوذة من الحَجْر؛ وهو المنع. وقيل للعقل «حِجر» لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه[1].
- وقال ابن منظور: الحُجُرات جمع حُجْرة، وسميت بذلك لمنعها المال، والحجارة حائطها، ومنه حُجرة الدار وجمعها حُجرات، وحُجَر[2].
- وأجمع المفسرون على أنّ معنى الحُجُرات هي القطعة من الأرض المحجورة، أي الممنوعة عن الدخول فيها بحائط وتسمى حظيرة الإبل، وهي ما تجمع فيه وتكون محجورة بحطب أو نحوه[3].

والمراد بالحجرات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝﴾[4] حجرات نسائه عليه الصلاة والسلام، وكانت تسعاً، لكل واحدة منهن حجرة، وهي من جريد النخل، أي الحواجز التي بين كل واحدة والأخرى، وعلى أبوابها مسوح من شعر أسود، وعرض الحجرة إلى باب البيت نحو سبعة أذرع، ومساحة البيت الداخل عشرة أذرع، فتصير مساحة الحجرة سبعة عشر ذراعاً.

قال الحسن البصري[5]: كنت أدخل بيوت أزواج الرسول ﷺ بعد وفاته في خلافة عثمان بن عفان، فأتناول سُقفها بيدي.

وذكر لفظ (الحجرات) دون البيوت؛ لأن البيت كان بيتاً واحداً مقسماً إلى حجرات تسع[6].

---

(1) الأصفهاني، المفردات، ص220.
(2) ابن منظور، لسان العرب، (165/4).
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (366/19)، الألوسي، روح المعاني، (291/9)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (226/12)
(4) سورة الحجرات، آية4.
(5) الحسن البصري، الفقيه العابد المشهور ، يُكنى أبا سعيد، وكان مولده لسنتين خلتا من خلافة عمر ﷺ، كان فصيحاً بليغا زاهداً عابداً عالماً واعظاً صادقاً، مات سنة عشرو مائة، ينظر: الحموي، شهاب الدين ياقوت أبو عبدالله بن عبدالله الرومي، معجم الأدباء، حققه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (1)، 1414هـ-1993م، (1023/3).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (226/12-227)، الألوسي، روح المعاني، (291/9).

- **المطلب الثاني: أسباب نزول سورة الحجرات.**

هناك أسباب نزول لعدة آيات من هذه السورة، إذ أنّ بعض الآيات ورد فيها أكثر من سبب من أسباب النزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾[1].

- أخرج البخاري[2] عن عبد الله بن الزبير أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر: أمرّ القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أمّر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما[3]، فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[4].
- أخرج ابن المنذر عن الحسن أن أناساً ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر، فأمرهم الرسول ﷺ أن يعيدوا ذبحاً[5]، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [6] والراجح في سبب نزول الآية الكريمة هو القول الأول؛ لوروده في صحيح البخاري؛ فيقدم الصحيح على غيره.

---

(1) سورة الحجرات، آية1.
(2) البخاري، الجامع الصحيح، (1834/4)، كتاب تفسير سورة الحجرات، باب (وفد بني تميم) رقم الحديث (4566).
(3) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص401، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص459.
(4) سورة الحجرات، الآيات (1-5).
(5) الطبري، جامع البيان، (117/26)، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص459، وانظر: كتاب الاستيعاب في بيان الأسباب، تأليف: سليم الهلالي ومحمد بن موسى آل نضر، دار ابن الجوزي، ط (2)، 1430هـ، (253/3)، وهذا حديث ضعيف.
(6) سورة الحجرات، آية1.

- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾[1] يوجد لها أكثر من سبب نزول كما ورد عند المفسرين ومنها:

- قال ابن أبي مليكة: كاد الخيِّران أن يَهلكا: أبو بكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب من بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس، وأشار الآخر برجل آخر، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، وارتفعت أصواتهما في ذلك وأنزل الله تعالى: ﴿... لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ...﴾.

- قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه[2].

- وقال الواحديُّ: نزلت في ثابت[3] بن قيس بن شماس، كان في أذنيه وقر، وكان جهوري الصوت، وكان إذا كلم إنساناً جهر بصوته، فربما كان يكلم رسول الله ﷺ فيتأذى بصوته، فانزل الله تعالى هذه الآية[4].

والراجح في هذه المسألة القول الأول الوارد في الصحيحين؛ إذ يقدم الصحيح على غيره.

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾[5]، قال عطاء، عن ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ

(1) سورة الحجرات ، آية2.
(2) الوداعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، ص230-231، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص460، وأخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب وفد بني تميم، رقم الحديث (4566).
(3) ثابت بن شماس، كان خطيب الأنصار، وخطيب النبي ﷺ، شهد أحداً، وما بعدها، وقتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر شهيداً، سنة11هـ، قال عنه النبي ﷺ :"نعم الرجل ثابت بن قيس"، ابن الأثير، أسد الغابة، (144/1).
(4) شلبي، الجامع في أسباب نزول القرآن، ص460، ذكر بدون إسناد ولم يسم له راوياً، الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ص258، الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص402.
(5) سورة الحجرات، آية3.

فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ...﴾ تألّى أبو بكر أن لا يكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار[1]، فأنزل الله في أبي بكر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [2].

- وعن محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ...﴾ قعد ثابت بن قيس يبكي، فمرّ عاصم بن عدي بن العجلان فقال: ما يبكيك؟ قال: هذه الآية أتخوّف أن تكون قد نزلت فيّ، وأنا صيّت رفيع الصوت، فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا به فقال: "أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة"؟ قال: رضيت بشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ...﴾ [3].

- وجاء عند الواحدي: أن أبا بكر رضي الله عنه، لما نزلت على النبي ﷺ الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ قال: فآليت على نفسي أن لا أكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السِّرار [4].

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [5]. أخرج الواحدي: عن زيد بن أرقم[6] قال: أتى ناس النبي ﷺ فجعلوا ينادونه وهو في الحجرة يا محمد، يا محمد، فأنزل الله تعالى[7]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ...﴾.

---

1 السرار: السين والراء بجمع فروعه إخفاء الشيء، والسر خلاف الإعلان، يقال أسررت الشيء خلاف أعلنته، وهو من باب السر، ابن فارس، مقاييس اللغة، (67/3).

(2) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص403، وذكر بدون إسناد فالحديث ضعيف، وانظر: شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص461.

(3) شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص461، الطبري، جامع البيان، (118/26).

(4) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص403، في إسناده عيينة بن حصين، متروك ويحيى الحماني متهم بالسرقة، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص460.

(5) سورة الحجرات، آية4.

(6) زيد بن أرقم: أبو زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأنصاري الخزرجي، شهد غزوة مؤتة وغيرها، حدّث عن طاووس، أبي عمرو الشيباني، وعطاء بن أبي رباح، توفي سنة ستٍ وثمانين للهجرة، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (166/3).

(7) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص404، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص461، السيوطي، لباب النقول، ص274، والحديث ضعيف؛ لأن في سنده داود بن رشيد وهو ضعيف.

- وقال محمد بن إسحاق وغيره: نزلت في جفاة بن تميم، قدم وفد منهم على النبي ﷺ فدخلوا المسجد فنادوا النبي ﷺ من وراء حجراته: أن أخرج إلينا يا محمد، فإن مدحنا زَينٌ وإن ذَمنا شَيْنٌ[1]، فآذى ذلك من صياحهم النبي ﷺ فخرج إليهم وكان فيهم الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم.

- وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن الأقرع بن حابس، أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، فقال: يا محمد إن حمدي زَينٌ وإن ذَمي شَيْنٌ، فقال: "ذاكم الله عز وجل"[2].

- قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦﴾[3]، نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط[4]، بعثه الرسول ﷺ إلى بني المصطلق مصدقاً، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم تلقوه تعظيماً لله ، ولرسوله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: "إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب الرسول ﷺ وهمّ أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه، وغضب

(1) زين: حسن ذو زين ووجه فلان شيْن: أي قبيح، ينظر: لسان العرب، (243/13).
(2) - شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص462، وإسناده ضعيف، والطبري، جامع البيان، (77/26)، الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ص226-227.
(3) سورة الحجرات، آية6.
(4) الوليد بن عقبة بن أبي معيط: هو الوليد بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس، أخو عثمان بن عفان لأمه، ولي الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص، كان شاعراً، شجاعاً، مجاهداً، مات في خلافة معاوية، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط (1)، 1412هـ، (615-614/6).

رسوله فأنزل الله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ...﴾ يعني الوليد بن عقبة بن أبي معيط[1].

وعن عيسى بن دينار، قال حدثني أبي، أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعيّ[2] قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها وقلت يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فيرسلُ إليّ رسول الله ﷺ لإبّان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبّان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطةٌ من الله عز وجل ورسوله، فدعا بِسَرَوات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ وقّت لي وقتاً يرسلُ إليّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخُلُف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطةٍ كانت، فانطلقوا فنأتيَ رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد، حتى بلغ بعض الطريق، فَزع فرجع، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وقد فصل من المدينة، فلقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ لم كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فرجع إليه فزعم أنك منعته من الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته بتّة ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ

(1) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص407، ذكره بدون إسناد، والحديث ضعيف.
(2) الحارث بن ضرار الخزاعي: يكنى أبا مالك، من أهل الحجاز، وهو والد جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ،أسلم الحارث وأسلم معه ابناه وناس من قومه، ابن الأثير، أسد الغابة، ص212.

قال: "منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟". قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني[1]، وما أقبلتُ إلا حين احتبس عليّ رسول الله ﷺ، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله، قال: فنزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾[2].

- قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾[3]. عن أنس ﷺ قال قلت: يا نبي الله: لو أتيت عبد الله بن أبيّ، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سَبِخَة، فلما أتاه النبي ﷺ: فقال: إليك عني، والله لقد آذاني نَتْن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمارُ رسول الله أطيب ريحاً منك، فغضب لعبدالله رجل من قومه، فشتم وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضربٌ بالجريد والنعال والأيدي[4]، فبلغنا أنها أنزلت فيهم الآية ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾[5].

وأخرج الشيخان عن أنس هذا الحديث كما ورد عند الواحدي[6]، وهناك روايات أخرى في سبب نزول تلك الآيات ولكنها ضعيفة، ولا حاجة لذكرها؛ إذ يُقَدَّم الصحيح على غيره.

---

(1) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص407-408، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص462-463، السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص275، وهو حديث حسن.
(2) سورة الحجرات، آية6.
(3) سورة الحجرات، الآيتان (9، 10).
(4) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص408-409، الوداعي، الصحيح المسند، ص231-232، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص463-464، السيوطي، لباب النقول، ص276.
(5) سورة الحجرات، الآيتان (9، 10).
(6) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصلح، (958/2)، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس، ، رقم الحديث (2545)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير (183/5)، ورقم الحديث (4762).

- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [1].

- قال الواحدي: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنيه وقر، فكان إذا أتى الرسول ﷺ أوسعوا له حتى يجلس بجانبه، فيسمع ما يقول، فجاء يوماً وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس، ويقول تفسحوا، فقال له رجل: قد أصبت مجلساً فجلس ثابت مغضباً، فغمز الرجل فقال من هذا، فقال: أنا يا فلان، فقال: ثابت ابن فلانة، فذكر أمّاً كانت له يعير بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه استحياءً[2] فأنزل الله:﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ...﴾.

- وقال الواحدي: نزلت هذه الآية في امرأتين من أزواج النبي ﷺ سخرتا من أم سلمة، وذلك أنها ربطت حقويها بـ(سَبنيةٍ) (وهي ثوب أبيض)، وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره، فقالت عائشة لحفصة: انظري إلى ما تجر أم سلمة خلفها كأنه لسان كلب، فهذا كان سخريتها[3].

- وعن عكرمة عن ابن عباس[4] أن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله، فقالت: إن النساء يعيرونني، ويقلن: يا يهودية بنت اليهوديين، فقال رسول الله ﷺ هلا قلت: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد[5]، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾.

---

(1) سورة الحجرات، آية11.
(2) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص409، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص465، وذكره بدون إسناد (ضعيف).
(3) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص409، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص465، وذكره بدون إسناد (ضعيف).
(4) الترمذي، سنن الترمذي، (78/5)، كتاب التفسير، باب السخرية.
(5) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص409، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص465، وذكره بدون إسناد (ضعيف).

- وعن أنس: نزلت في نساء النبي ﷺ؛ عَيَّرْنَ أم سلمة بالقصر[1].
- قال تعالى: ﴿... وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].
- عن أبي جبيرة بن الضّحاك[3] قال: فينا نزلت الآية، قدم رسول الله ﷺ: المدينة، فجعل الرجل يدعو للرجل ينبزه، فيقال: يا رسول الله إنه يكرهه[4] فنزلت الآية ﴿... وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾.
- وأخرج أصحاب السنن الأربعة[5]، عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة، فيدعى ببعضها فعسى أن يكرهه[6]، فنزلت الآية: ﴿...وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.
- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[7]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في ثابت بن قيس، وقوله في الرجل الذي لم يفسح له: ابن فلانة، فقال رسول الله ﷺ: "من الذّاكر فلانة؟" فقال: أنا يا رسول الله. فقال: "انظر في وجوه القوم"، فنظر، فقال: "ما رأيت يا ثابت؟" فقال: رأيت أبيض وأحمر وأسود، قال: "فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى"، فأنزل الله هذه الآية[8].

---

(1) المراجع السابقة نفسها.
(2) سورة الحجرات، آية11.
(3) أبو جبيرة بن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدي الأنصاري، أخو ثابت بن الضحاك، ولد بعد الهجرة، قال بعضهم: له صحبة، وقال بعضهم: ليس له صحبة، وهو كوفي، روى عنه قيس بن أبي حازم والشعبي. (ابن الأثير، أسد الغابة، ص1294).
(4) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص410، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص465.
(5) الترمذي، سنن الترمذي، (388/5)، كتاب تفسير سورة الحجرات، رقم الحديث (3268)، قال أبو عيسى حديث حسن صحيح، النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، ط (1)، 1420هـ-2001م، (466/6)، كتاب التفسير، رقم الحديث (11516)، ابن ماجة، أبو عبد الله بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، حققه: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (1231/2)، كتاب الأدب، باب الألقاب، رقم الحديث (3741)، وأخرجه أبو داود في سننه، (290/4)، كتاب الأدب، باب الألقاب، رقم الحديث (4962)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (449/2).
(6) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص410، السيوطي، لباب النقول، ص277، الجامع في أسباب النزول، ص466.
(7) سورة الحجرات، آية13.
(8) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص410-411، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص466، وهذا خبر معضل.

- وقال مقاتل: كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى أذّن على ظهر الكعبة، فقال عتاب بن أسيد[1] بن أبي العاص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً[2]!..؟
- وقال يزيد بن شجرة[3] مرّ رسول الله ﷺ ذات يوم ببعض الأسواق بالمدينة فإذا غلام أسود قائم ينادي عليه يباع فمن يزيد، وكان الغلام يقول: من اشتراني فعليّ بشرط قيل: ما هو؟ قال: لا يمنعني من الصلوات المكتوبة خلف رسول الله ﷺ، فاشتراه رجل على هذا الشرط، فكان يراه رسول الله ﷺ عند كل صلاة مكتوبة ففقده ذات يوم، فقال لصاحبه: "أين الغلام"؟ فقال: محموم يا رسول الله. فقال لأصحابه: قوموا بنا نعده، فقاموا معه فعادوه، فلما كان بعد أيام، قال لصاحبه: ما حال الغلام؟ فقال: يا رسول الله لما به، فقام ودخل عليه وهو في دمائه فقبض على تلك الحال، فتولى رسول الله ﷺ غسله وتكفينه ودفنه، فدخل على أصحابه من ذلك أمر عظيم فقال المهاجرون: هجرنا ديارنا وأموالنا وأهلينا فلم يرَ منا أحد في حياته ومرضه وموته ما لقي منه هذا الغلام[4]. قالت الأنصار: آويناه ونصرناه وواسيناه بأموالنا فآثر علينا عبداً حبشياً، فأنزل الله هذه الآية.

---

(1) عتاب بن أسيد: بن أمية بن عبد شمس القرشي كنيته أبو محمد، ولاه الرسول ﷺ مكة وهو ابن ثمانية عشر سنة حين خرج إلى حنين وتوفي يوم توفي أبو بكر، ولم يعلم أحدهما بموت الآخر؛ لأن هذا مات بالمدينة والآخر بمكة، توفي سنة (13هـ)، انظر: ابن حيان، محمد بن حيان بن أحمد البستي، الثقات، دار الفكر، ط (1)، 1395هـ-1975م، (304/3).

(2) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص411، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص466، وهذا خبر معضل.

(3) يزيد بن شجرة الرهاوي، شامي، روى عنه مجاهد بن جبر حديثه في فضل الجهاد، وكان معاوية يستعمل يزيد على الجيوش في الغزاة، وكان يستعمله على الحج أيضاً، وكان أميراً على مكة في عهد علي، قتل يزيد شهيداً في غزوة غزاها سنة (5 هـ)، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص1262.

(4) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص412، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص467، وهذا حديث مرسل ذكره الواحدي بدون إسناد.

- قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1]، قال الواحدي: نزلت في أعراب بني أسد ابن خزيمة؛ قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة في سنة هجرته، وأظهروا الشهادتين، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها[2]، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ أتينا بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنون عليه، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية[3].
- قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ...﴾[4]، عن سعيد بن جبير[5] قال: أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبي ﷺ فقالوا جئناك ولم نقاتلك، وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله[6] تعالى الآية: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ...﴾.

- **المطلب الثالث: زمن نزول السورة والجو الذي نزلت فيه.**

أجمع المفسرون على أنها مدنية، فقد نزلت بعد الهجرة[7]، في السنة التاسعة للهجرة[8].
أما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [9]، فإنها نزلت بمكة يوم فتحها[10].

---

(1) سورة الحجرات، آية14.
(2) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص412.
(3) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص412، شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص467-468، ذكره الواحدي بدون إسناد، ويقول شلبي، ذكره المصنف بدون إسناد، والرواية ضعيفة.
(4) سورة الحجرات، آية17.
(5) سعيد بن جبير: الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، تابعيّ من أعلم التابعين. وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. قتله الحجاج بن يوسف سنة (95 هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (321/4).
(6) السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص279، عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وهذا مرسل، وانظر: شلبي، الجامع في أسباب النزول، ص468.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (2130/12)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (353/19)، أبو حيان، البحر المحيط، (105/8)، الألوسي، روح المعاني، (284/9)، السيوطي والمحلي، جلال الدين، تفسير الجلالين، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط بدون، ص684.
(8) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، (207/4).
(9) سورة الحجرات، آية13.
(10) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص411. ابن عاشور، التحرير والتنوير، (213/21).

- **المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.**

سورة الحجرات سورة مدنية وقعت بين سورتي الفتح، و(ق)، فكانت السورة السابقة لها سورة الفتح والسورة التالية سورة (ق)، ومناسبة سورة الحجرات لما قبلها وما بعدها جلية:

في نهاية سورة الفتح امتدح الله نبيّه والذين معه، وأثنى عليهم وذكر مثلهم في التوراة والإنجيل بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ... وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[1]، فناسب في سورة الحجرات أن يفتتحها باشتراط الأدب مع النبي ﷺ في القول والفعل ليصبحوا من حزبه، ويتخلقوا بمعالي الأخلاق سواء مع الله سبحانه أو مع رسوله ﷺ، أو مع غيرهما[2].

وقال أبو حيان: "مناسبة السورة لما قبلها ظاهرة، لأنه ذكر فيها الرسول ﷺ وأصحابه ثم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [3] فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات شيئاً مما ينبغي أن ينهى عنه، فقال جل وعلا للمؤمنين وتهذيباً لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [4].

- وقد ذكر المراغي ثلاثة أوجه[5] لهذه المناسبة مع السورة السابقة:

1- ذكر في هذه قتال البغاة وفي تلك قتال الكفار.

2- أن السابقة ختمت بوصف الذين آمنوا، وافتتحت هذه بهم.

3- إن كلا منهما تضمن تشريفاً وتكريماً للرسول ﷺ خاصة في مطلعيهما.

---

(1) سورة الفتح، آية29.
(2) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط1، 1415هـ-1995م، دار الكتب العلمية- بيروت، (220/7-222).
(3) سورة الفتح، آية29.
(4) ابن حيان، البحر المحيط، (105/8)، والألوسي، روح المعاني، (284/9).
(5) المراغي، أحمد مصطفى (ت1371هـ)، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بدون، (109/26).

وأما مناسبة السورة لما بعدها، وهي سورة(ق) فإن هذه سورة مقصودها تصديق النبي ﷺ التي معظمها الإنذار، وأعظمه الإعلام بيوم الخروج، ومقصودها الدلالة على إحاطة القدرة التي هي نتيجة ما ختمت به الحجرات من إحاطة العلم؛ لبيان أنه لا بد من البعث ليوم الوعيد[1].

- **المطلب الخامس: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة الحجرات .**

احتوت سورة الحجرات على العديد من الموضوعات الأساسية المهمة لبناء المجتمع المسلم، وتنظيم العلاقات الاجتماعية بين أبنائه، ومن هذه الموضوعات ما ذكره ابن عاشور[2] في تفسيره على الترتيب الآتي:

- تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم من الأدب مع النبي ﷺ في معاملته وندائه وخطابه.
- وجوب صدق المسلمين فيما يخبرون به، والتثبت في نقل الخبر مطلقاً، وأن ذلك من خلق المؤمنين.
- مجانبة أخلاق الكافرين والفاسقين، وتطرق إلى ما يحدث من التقاتل بين المسلمين، والإصلاح بينهم لأنهم إخوة، وما أمر الله به من أداب حسن المعاملة بين المسلمين في أحوالهم في السر والعلانية.
- التحذير من بقايا خلق الكفر في بعض جفاة العرب تقويماً لنفوسهم.
- وفيها إرشاد لمكارم الأخلاق[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب السور، (396/18).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (213/21).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (213/21-214).

الفصل الثاني

القواعد الأخلاقية في سورة لقمان

وفيه أحد عشر مبحثاً:

- المبحث الأول : الحكمة وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم
- المبحث الثاني: شكر نعم الله وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم
- المبحث الثالث: توحيد الله تعالى، وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم
- المبحث الرابع: بر الوالدين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم
- المبحث الخامس: اتباع سبيل الصالحين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم
- المبحث السادس: مراقبة الله تعالى وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم
- المبحث السابع: الصلاة وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم
- المبحث الثامن: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآثارهما في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم
- المبحث التاسع: الصبر وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم
- المبحث العاشر: التواضع وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم
- المبحث الحادي عشر: غض الصوت وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

تمهيد:

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[1]

هذه دعوة إلهية من الله عز وجل تحثنا على تدبر آياته، لاكتساب الحكمة والأخلاق الحسنة، وقد اشتملت سورة لقمان على عدد من المواعظ والحكم، التي كان لقمان يعلّمُ ابنه ويعظه بها.

وفي هذا الفصل سوف تتناول الباحثة، القواعد الأخلاقية في سورة لقمان، وبيان آثارها في بناء المجتمع المسلم، ومن هذه القواعد الأخلاقية المستنبطة: الحكمة وآثارها وعلاقتها بالنبوة، وشكر الله تعالى على نعمه، وتوحيده، ومراقبته، وآثار ذلك في بناء القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم. وذكر طائفة من الأخلاق الحميدة، كالتواضع والصبر، واتباع سبيل الصالحين، وغض الصوت، وتوضيح ذلك عبر المباحث والمطالب الآتية.

(1) سورة ص، آية 29.

المبحث الأول

الحكمة وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

الحكمة اسم جامع، وباب واسع، يتضمن العلم والمعرفة والأسلوب، ويتم بها فهم الواقع، ولها آثارها الجلية في بناء المجتمع المسلم، ولا بد للداعية إلى ذلك أن يكون حكيماً، يتصف بالحكمة؛ لأنها سبيل النجاح والفلاح.

وهذا المبحث يتناول عدة مطالب منها تعريف الحكمة لغة واصطلاحاً، وأهميتها، وعلاقتها بالنبوة، وعرض بعض الحكم المأثورة من لقمان الحكيم. وذلك عبر المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: تعريف الحكمة لغة واصطلاحاً.**

الحكمة نعمة من الله تعالى، يمنُّ بها على من يشاء من عبادة الصالحين، وقد أكرم الله عز وجل لقمانَ الحكيمَ بها، وتظهر حكمته بصورة جليةٍ ورائعة في ثنايا وصاياه ومواعظه لابنه، لذلك فلا بد من الوقوف على تعريفها لغةً واصطلاحاً.

الحكمة لغةً:

جاء في المعاجم اللغوية أن الأصل في الحكمة: المنع، وهو مأخوذ من الحَكَمَة- بفتح الحاء والكاف- وهي الحديدة التي توضع في فم الدابة لتمنعها من الجموح، ويقال حكمة الفرس.

- قال ابن فارس: الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك- الحُكْمُ؛ وهو المنع من الظلم، وسميت حَكَمَة الدابة؛ لأنها تمنعها، والحكمة هنا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، والمُحكم هو المجرب المنسوب إلى الحكمة[1].

([1]) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت(395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1970م، (91/2).

- وجاء في مفردات القرآن: الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعمل، فالحكمة من الله: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفته وفعل الخيرات، وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾[1].
- وقال ابن منظور: والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات وينقلها حكيم[2].
- وعرفها الجرجاني بقوله: الحكمة علم يبحث فيه حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي[3].
- وقيل في تعريف الحكمة: علم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية[4].

وجملة القول: أن أصل معنى الحكمة هو المنع؛ لأنها تمنع من الجهل والفساد، واصطلاحاً: فهي إصابة الحق في القول والفعل، وتوفيق العمل بالعلم؛ لأن الحكمة عمودها العقل، وجوهرها العلم وفعل الخيرات، وهي منّة من الله تعالى على عبدٍ من عباده.

- **المطلب الثاني: أهمية الحكمة وعلاقتها بالنبوة**

تبدو أهمية الحكمة واضحة جلية؛ في كونها صفة جامعة بين العقل والعلم، والمعرفة والعمل النافع، وتتجسد فيها صفات الرحمة والأناة، والعفو والرفق واللين في القول والفعل.

([1]) الأصفهاني، المفردات، مادة حكم، ص127، وانظر: المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف، التوفيق على مبهمات التعريف، عالم الكتب، القاهرة، 1410هـ- 1990م.
([2]) ابن منظور، لسان العرب، مادة حَكَم، (140/12).
([3]) الجرجاني، التعريفات، ص30.
([4]) الأحمد نكري، عبد النبي بن عبد الرسول ت (ق12)، دستور العلماء، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط(1)، 1421هـ- 2000م، (32/2).

ويكفي الحكمة أهمية ومنزلة أن الله تعالى سمى نفسه بها، ووصف بها ذاته فهو العزيز الحكيم، وهو العليم الحكيم، أحكم الحاكمين، الحكيم الخبير، الواسع الحكيم.

ثم وصف سبحانه وتعالى كتابه بهذه الحكمة فقال: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[1]. وقال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨﴾[3]. وقال تعالى: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾[4].

ثم كانت الحكمة لأنبياء الله جميعهم- عليهم الصلاة والسلام-، قال عز وجل:﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ...﴾[5]. وفي شأن عيسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨﴾[6]. وفي شأن داود-عليه السلام- يقول تعالى: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾[7]. والحكمة هنا النبوة[8].

وهكذا تتضح أهمية الحكمة ومنزلتها من خلال تعريفاتها سالفة الذكر، ومن خلال ما وصف الله بها ذاتَه العلية، ثم كتابَه وأنبياءَه عليهم الصلاة والسلام، والحكمة لازمة للنبوة والرسالة التي تقتضي بالضرورة الدعوة إلى الله بالعقل، والحلم والأناة والرحمة، وحسن التدبير، وسلامة التصرف، وسرعة البديهة والتوازن في معالجة الأمور وفق ما تقتضيه المصلحة الدعوية، فالرسالة والنبوة لا تتضمنان الحكمة فحسب؛ وإنما هي في أعلى درجاتها، وأبعد غاياتها.

([1]) سورة هود، آية 1.
([2]) سورة يونس، آية 1.
([3]) سورة آل عمران، آية 58.
([4]) سورة يس، الآيتان (1، 2).
([5]) سورة آل عمران، آية 81.
([6]) سورة آل عمران، آية 48.
([7]) سورة ص، آية 20.
([8]) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء،(ت510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي)، دار الفكر- بيروت، ط(1)، 1420هـ، (219/1).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ

: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[1].

- **المطلب الثالث: مأثورات من حكم لقمان**

الحكمة أُمنية كل فاضل، ومطمع كل عاقل، يسعد من نالها، وعمل بها وعلَّم أجيالاً بها، ومنها: الحكمة[2]:

1- يا بني جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك؛ فإن الله ليحيي القلوب الميتة بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء.

2- يا بني لا تتعلم بما لا تعمل، حتى تعمل بما تعلم.

3- ضرب الوالد لولده كالماء للزرع.

4- ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن: الحلم عند الغضب، والشجاع عند الحرب، وأخوك عند حاجتك إليه.

5- يا بني إيّاك والدّين، فإنه ذل النهار، وهمُّ الليل.

6- يا بني اتخذ تقوى الله تجارة، يأتيك الربح من غير بضاعة.

7- أي بني: إنّ الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيها ناس كثير، فاجعل سفينتك تقوى الله، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل على الله، لعلك ان تنجو ولا أراك ناجياً.

([1]) البخاري، الجامع الصحيح، (25/1)، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم الحديث(73)، وأخرجه مسلم في صحيحه، (558/1)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم الحديث(815).

([2]) ينظر: السيوطي، الدر المنثور، (313/5-317)، وعزاه إلى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في زوائده، ولم أجده في النسخة المطبوعة من المسند.

8- ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع. يا بني: إياك والدّين فإنه ذل النهار، وهمّ الليل، يا بني: حملت الجندل والحديد وكل شيء ثقيل فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرار فلم أذق شيئاً أمر من الفقر.

9- من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من مواضعها أيسر من إفهام من لا يفهم.

10- يا بني: لا ترسل رسولك جاهلاً، فإن لم تجد حكيماً فكن أنت رسول نفسك.

11- يا بني: احضر الجنائز، ولا تحضر العرس، فإن الجنائز تذكرك بالآخرة، والعروس يشهيك الدنيا.

12- يا بني: لا تأكل شبعاً على شبع، فإن إلقاءك إياه الكلب خير من أن تأكله، يا بني لا تكن حلواً فتبلع ولا مراً فتلفظ.

13- يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، ولا تشاور في عمرك إلا العلماء[1].

وهناك الكثير من حكمه المأثورة والنافعة ولكن اقتصرت على هذا القدر.

(1) الألوسي، روح المعاني، (83/8).

المبحث الثاني

شكر نعم الله وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

الشكر فضيلةٌ من أعظم الفضائل التي لا يتصف بها إلاّ أولئك المؤمنون القانعون الراضون، الذين يعرفون ربهم حق المعرفة، فشكروه على ما أنعم عليهم من نعم، ووهبهم من منن وعطايا إكراماً لهم على شكره.

والشكر هو عنصر من عناصر الحكمة، والأمور المترتبة عليها؛ ذلك أن الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾ عبّرت بـ«أن» التفسيرية.

وسأتناول في هذا المبحث تعريف الشكر، وبيان الشكر على نعمة الحكمة وذلك وفق المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: تعريف الشكر**

واجب المسلم على المسلم أن يشكر الله تعالى دائماً في كل وقت، وفي كل حين على ما تفضل عليه من نعم كثيرة، لا تعد ولا تحصى، ولا بد من معرفة ماهية الشكر، والالتزام به حتى نتقرب به إلى الله تعالى ويزيدنا من فضله.

- عرّف الأصفهاني الشكر بأنه: تصور النعمة وإظهارها، وضده الكفر وهو: نسيان النعمة وسترها. ويقول الأصفهاني الشكر ثلاثة أضرب: شكر القلب وهو تصور النعمة، وشكر اللسان: وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجروح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه"[1].
- وعرف ابن منظور الشكر بقوله: "عرفان الإحسان ونشره"[2].

([1]) الأصفهاني، المفردات، ص265.
([2]) ابن منظور، لسان العرب، (170/7).

- وذكر الزبيدي في تاج العروس تعريفاً لمادة (شكر) بقوله: مادة شكر في اللغة تدل على الكرم والسخاء، ويقال: شكر فلان صار سخياً بعد أن كان شحيحاً، كما تدل على الزيادة والنمو، فيقال: ناقة شكِره- بكسر الكاف- أن تأكل أي علف كان، فيزيد جسمها، ويمتلىء ضرعها[1].

فالشكر إظهار النعم والثناء على المنعم بالقلب واللسان وسائر الجروح؛ لأن عرفان الإحسان ونشره من العرفان والثناء على المنعم، وبالشكر تنمو وتزداد النعم.

- **المطلب الثاني: الشكر على نعمة الحكمة**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[2].

وجاءت الآية مؤكدة بثلاثة مؤكدات، فيؤكد الله عز وجل بالقسم المنوي الذي دلت عليه اللام، وباللام الواقعة في جواب هذا القسم المنوي، وبحرف (قد) الدالّ على التحقيق، أنه تبارك وتعالى آتى لقمان الحكمة؛ إشعاراً بمنته العظيمة على لقمان[3].

ومن خلال النظر في دلالة الآية القرآنية يتبين أن الله تعالى امتن على لقمان بالحكمة ورجاحة العقل، وإصابة الحق، وكان مقتضى هذه النعمة الشكر للمتن بها ابتداءً واختصاصه بالحمد، وأن في هذا خيراً يعود على صاحبه، لا ينتفع به أحد سواه. ضرورة أن الله غني حميد.

وجاءت الآية بدلالة الإيتاء دون الإعطاء؛ لأن الأول أقوى في إثبات مفعوله مع إفادة التملك بالكلية.

([1]) الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق (ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، حققه مجموعة من المحققين، دار الهدآية ، ط بدون، (313/3).
([2]) سورة لقمان، آية 12.
([3]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر (708/11).

وجاء فعل الإيتاء بصيغة الماضي؛ للدلالة على التحقق والثبوت[1].

قوله تعالى: ﴿...أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢﴾[2].

(أن) تفسيرية، وما بعدها تفسير لإيتاء الحكمة، فمن موجبات الحكمة التوجه بالشكر على هذه المنّة.

ويلاحظ في الآية الكريمة أنها جاءت بعدة أساليب ولها دلالات بيانية، ومن هذه الأساليب:

- أسلوب الشرط: فإن الشرط أدل على ذلك من الإخبار؛ لأن آثار شكر الله كمالات حاصلة للشاكر، ولا تنفع المشكور شيئاً؛ لغناه سبحانه وتعالى عن شكر الشاكرين، ولذلك جيء به في صورة الشرط؛ لتحقيق التعلق بين مضمون الشرط، ومضمون الجزاء؛ فإن الشرط أدل على ذلك من الإخبار[3].
- وجيء بصيغة حصر نفع الشكر في الثبوت للشاكر بقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ﴾ أي ما يشكر إلا لفائدة نفسه، ولام التعليل مؤذنة بالفائدة[4].
- وجيء في فعل (يشكر) بصيغة المضارع للإيماء إلى جدارة الشكر بالتجديد[5].
- ومجيء صيغة الجزاء، مطابقة لصيغة شرطها؛ ليتجدد الجزاء كلما تجدد الشرط، ودلالة إظهار الشكر بدل الإضمار لأهميته أولاً، ثم للعناية به، وأنه ينبغي أن يكرر ثانياً، ثم ليكون الثاني نتيجة وثمرة له.

([1]) المشني، مصطفى إبراهيم، الإعجاز البياني في آيات وصايا لقمان الحكيم وما ينطوي عليه من قيم، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ص9.
([2]) سورة لقمان، آية 12.
([3]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (152/21).
([4]) المرجع السابق نفسه، (152/21).
([5]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (153/21).

- وقال الزمخشري (أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ) جملة تفسيرية، فمن موجبات الحكمة التوجه بالشكر على هذه المنّة، وهذا يسد مسد الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.
- أما المناسبة بين الجملتين، فهذا خطاب عام بعد خاص، فقوله: (أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ)خطاب خاص بلقمان(1).
- وفي قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) يلاحظ أمران: أولاً: الجملة الشرطية. وثانياً: الصيغة.
- أما الشرطية: فمما يلحظ ها هنا المغايرة بين الشرط وجزائه على خلاف ما كان في الجملة السابقة ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾[2]، فالمعنى يتناسب مع المعنى القائم في الشرط المعبر عنه بالماضي المقتضي الطرح والتغييب، فجاء الجواب رداً عليه، فكما أن الكافر استغنى بكفره، كان الله غنياً عنه، بيد أن الله محمود بذاته، لا ينقص الكفر من عظمته وملكوته.
- وأما الصيغة فمجيء الفعل الماضي "كفر" وهو دليل على الاستبعاد والطرح، لاستقرار المعنى وثبوته، وفيه إشارة إلى قبح الكفر وتشنيع صورته. ومجيء الجواب بالاسمية؛ لتقرير غنى الله، وأن الكفر لا يضير في غنى الله وحمده؛ فهو المحمود المستحق للحمد بذاته، ولو لم يحمده الحامدون، ومن بديع التنزيل في هذه الجملة وسابقتها الطباق؛ إذ الأولى تحمل الاعتراف بالنعمة وهذه تتضمن نكرانها والجحود.

([1]) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت593هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود ورفيقه، مكتبة العبيكان، الرياض، 1481هـ- 1998م، ط(1)، (11/5)، وانظر: ابن عطية الأندلسي، عبد الحق غالب (ت596هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: الرحالي الفاروقي ورفقائه، ط(1)، 1401هـ- 1981م، قطر، (491/11).

([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (152/21).

- وفي الآية توجيه إلى قيمة عليا، وفضيلة أسمى؛ وهي الشكر، بدأ بالشكر لله ثم للآخرين، فالأول اعتراف لما ينبغي أن يقوم بين العبد وربه؛ من صلة تتمثل في شكر العبد المنصف بالديمومة، ثم ما بين البشر؛ إسهاماً فيما تقوم به حياتهم على أسس من المودة والتراحم والاعتراف بالجميل، وأسوتنا في غرس هذه الفضيلة رسولنا محمد ﷺ الذي كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: "أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ" [1].
- على أن ثمة ما يلتفت إليه هنا؛ وهو أن شكر العبد لربه يقوم على حاجة العبد على الدوام، وانتفاء الحاجة عن الله تعالى بالكلية؛ لأن الله تعالى مستغن بذاته عن الشكر والحمد من غيره، بينما شكر البشر لبعضهم يقوم على الحاجة المتبادلة[2]. ومما يؤكد هذا المعنى ما قاله القاسمي: "والشكر مبني على خمس قواعد؛ خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره"[3].

ومن معاني قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، أي أنّ من لم يشكر الله تعالى بالإيمان والحمد والطاعة والعمل بمراضيه فإن الله غني بذاته، لا يزيد في ملكه شكر كل عباده له، ولا ينقص من ملكه كفر كل عباده، وهو سبحانه محمود دوماً من قبل ملائكته، وهو محمود من قبل كل شيء، وكل ذرة خلقها، فهو محمود من كل شيء في الوجود وكل ذرة مسبحة بحمده

([1]) صحيح البخاري (217/4)، كتاب التفسير، باب ليغفر لك الله، رقم الحديث(4837)، وأخرجه مسلم في صحيحه(72/4)، كتاب التفسير، باب ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك، رقم الحديث(2819).
([2]) المشني، الإعجاز البياني، ص10-11.
([3]) القاسمي، محاسن التأويل، (197/13).

دواماً[1] قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[2].

- **المطلب الثالث: آثار شكر نعم الله تعالى**

- ومن آثار الشكر التي تعود بالنفع والفائدة على المجتمع المسلم في الدنيا والآخرة:
- العبد الذي يشكر الله تعالى على كل أحواله، يوفقه الله في حياته، وإذا ترك شيئاً أعطاه أفضل منه، وإذا بذل شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة وشكر له ذلك.
- المسلم الشاكر لله يتضمن محبة الله، وخوفه، ورجاءه، والإنابة والتبتل إليه.
- الشاكر لله يكون مطمئن البال، هادئ النفس، لا يخشى خوفاً ولا رزقاً(3).
- الشاكر لنعم الله يجد ثمرة الشكر في الدنيا بعاجل الثواب، والآخرة بتخفيف العقاب.
- الشاكر لنعم الله يضاعف له حسناته وأعماله أضعافاً مضاعفة(4)، ويزيده الله من فضله، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[5].
- الشكر لله على نعمه يطهر القلوب، ويقرب العبد لربه.
- المجتمع المسلم الذي يشكر الله في كل أحواله، يكون مجتمعاً مرضياً، موفقاً تسوده البركة، والخير والرضوان بفضل الله ورحمته.

([1]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، (710/11).
([2]) سورة الإسراء, آية 44.
([3]) ابن القيم، عدة الصابرين، ص281-282.
([4]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شمس الدين، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(3)، 14016- 61990، (2/343-244).
([5]) سورة إبراهيم، آية 7.

المبحث الثالث

توحيد الله تعالى، وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

ما من نبي ولا رسول إلا وجاء بدعوة التوحيد، وهذه وظيفة الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام؛ لأن التوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، والقرآن يأمر الناس كافة بالتوحيد الخالص لله تعالى لا شريك له، ومتى كان هذا الإقرار بالتوحيد لله رب العالمين الذي هو حق لله على العباد، وصدقاً في القلب، يكون العبد قد بدأ سلوك الطريق القويم، ويحظى برضوان الله وعونه.

وهذا المبحث سيتناول الوصية الأولى من وصايا لقمان لابنه وهو يعظه بعدم الشرك بالله، وأنواع الشرك وآثار التوحيد في المجتمع المسلم، وذلك عبر المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: الوصية الأولى من وصايا لقمان لابنه (وصية التوحيد)**

إن لقمان الحكيم يقوم بواجب الأب تجاهُ الابن، وقد أوجب الإسلام على الآباء نصح الأبناء ووعظهم، متمثلاً في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

ويتمثل هذا المطلب من خلال سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[2].

- هذه الوصية الأولى من وصايا لقمان لابنه، وبالنظر في هذه الآية الكريمة نرى أنها أوضحت كمال النظم القرآني؛ وأكدت حسن التناسب والتلاؤم الذي هو وجه من وجوه

([1]) سورة التحريم، آية 6.
([2]) سورة لقمان، آية 13.

الإعجاز القرآني؛ فبعد أن وصفت الآية السابقة لقمان بالحكمة، والحكيم لا تُعْرَف حكمته إلا بأقواله وأفعاله؛ عطف هنا بوصيته لابنه، التي تحمل معالم الحكمة ومفرداتها[1].

وافتتحت الآية الكريمة بموعظة حملت أعظم قضية وأخطرها؛ إنها عقيدة التوحيد، عقيدة الرسل جميعاً، ورسالتهم إلى أقوامهم، فما من رسول إلا وأمر قومه بالتوحيد. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[2]. وهذه عقيدة التوحيد تُنشِئ في القلب والعقل حالةً من الانضباط لا تتأرجح معها الصور، ولا تهتز معها القيم، ولا يتميّع فيها التصور ولا السلوك.

- لذلك نرى أن لقمان أول ما بدأ به لتأسيس ابنه غرس عقيدة التوحيد في قلبه؛ لأن التوحيد أصل ثابت، ويحميه من عوامل الضعف والقلق النفسي، ويبعث في قلوب أفراد المجتمع الطمأنينة والاستقرار، والشعور الإيجابي الفاعل في الحياة بكل عز وإباء[3].
- وعقيدة التوحيد لها أثر كبير في قلوب أفراد المجتمع، وبخاصة في حياة الفرد النفسية؛ إذ توحد نوازعه وتفكيره وأهدافه، وتجعل عواطفه وسلوكه وأخلاقه وعاداته قوية متضافرة، ترمي كلها إلى تحقيق هدف واحد، هو الخضوع لله وحده، ونيل رضاه.

وقد سلك القرآن الكريم أسلوباً فريداً لتثبيت هذه العقيدة في النفس، مختاراً ألفاظاً ونظماً مؤثراً؛ بغية الاستجابة وسرعة الامتثال، وما أبلغ هذه الحكمة حين ترد في لفظ الموعظة التي تحمل في طياتها معاني الخير فيما يرق له القلب، ويذكر بالعواقب، وهو أرقى أنواع الخطاب؛ إذ خوطب به الأنبياء كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦٓ

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (13/6).
(2) سورة الأنبياء، آية 25.
(3) قطب، سيد إبراهيم قطب، خصائص التصور الإسلامي، دار الشروق- بيروت، القاهرة، ط4، ص221.

عِلۡمٞۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾[1]، ومقتضاها الإخلاص في التوجُّه، والصدق في النيّة، والإشفاق والتلطف في القول، كيف لا وهو ابنه، وهو جزؤه، ثم الحرص على الاتباع والامتثال بقول سيد قطب: "وإنها لعظة غير متهمة، فما يريد الوالد لولده إلا الخير، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً، بل يوصي الأب ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف"[2].

والوعظ في اللغة: زجر مقترن بتخويف، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب[3].

والوعظ: النُصح والتذكير بالعواقب، تقول وعظته وعظاً وعِظَةً فاتعّظ، أي قبل الموعظة، ويقال: السعيد من وُعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره[4].

ويلاحظ أن كلمة (الوعظ) في السياق جاءت بصيغة المضارع؛ للدلالة على تجدد الوعظ وتكرره، وأما ما يتعلق بتفصيلات ابن لقمان، فلم يصرح القرآن فيها بشيء، فلا يعرف اسمه ولا عمره عندما وعظه، ولا تعرف عقيدته، بغض النظر عما ذكره بعض المفسرين مما ليس عليه دليل صريح، وافتتاح الموعظة بنداء المخاطب الموعوظ مع أن توجيه الخطاب مغنٍ عن ندائه لإحضاره بالخطاب، فالنداء مستعمل مجازاً في طلب حضور الذهن لوعي الكلام وذلك من الاهتمام بالغرض المسوق له الكلام.

وبالإضافة إلى ذلك كان أسلوب النداء الذي استعمله لقمان (يا بُنَيَّ) هو تصغير(ابن)، لتنزيل المخاطب الكبير منزلة الصغير كناية عن الشفقة والتحبب له، وخاطبه بلفظ (البنوة)؛

([1]) سورة هود، آية 46
([2]) قطب، تفسير الظلال، (2788/5).
([3]) الأصفهاني، المفردات، مادة (وعظ)، ص527.
([4]) الجوهري، الصحاح، (286/2).

لعلاقة الأبوة، وقد جمع لقمان في هذه الموعظة أصول الشريعة وهي: الاعتقاد في الأعمال، وأدب المعاملة، وأدب النفس[1].

واختلف في قوله ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ فقيل: إنه من كلام لقمان، وقيل هو خبر من الله تعالى منقطعٌ من كلام لقمان متصلاً به في تأكيد المعنى[2].

وجملة ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ تعليلية للنهي المتقدم حملت في طياتها جملة من المفاهيم والقيم تتمثل فيما يأتي[3]:

أولاً: التقرير بعد النهي– أو خبر بعد إنشاء– فبدأ بالطلب، وهو النهي، وثنّى بالخبر، وهو التقرير لبيان دواعيه ومسوغاته، فجاء بالقضية وبرهانها، ثم كان النهي فيما اقتضاه المقام خاصاً بالمخاطب، بينما جاء التقرير عاماً اتصف بأنه قاعدة ثابتة، وسنة مقررة لا تتخلف.

ثانياً: التصدير بحرف التوكيد (إنّ) ليحمل هذا التقرير من قوة مضمونه وتوكيد مصداقيته ما يقتضى طرحه والبراءة منها بالكلية.

ثالثاً: إظهار الشرك بدل الإضمار (تشرك، الشرك) للتنبيه على شدة قبحه وبشاعة صورته مما ينبغي تنزه الخواطر عنه.

رابعاً: الشرك: ظلم واعتبار الشرك ظلماً مع دخول اللام (المزحلقة) المؤكدة لمضمون الخبر فيه أمور أهمها:

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (10/154-155).
([2]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (16/472)، والألوسي، روح المعاني (8/84).
([3]) المشني، الإعجاز البياني، ص13.

- اعتداء على حق الله تعالى وغض منه، وهو المتصف بصفات الكمال وعلى رأسها الوحدانية، فهو المنزه عن الشرك.
- انتقاص من حق النفس، واعتراض على فطرتها.
- تعظيم هذا الظلم وتنوع مفرداته، وتعدد مظاهره بتنكيره وتنوينه أولاً، ثم بوصفه (عظيم) ثانياً، وقد أكد هذا رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح[1]:"أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبائِرِ ثَلاثًا، قَالُوا: بَلى يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الإِشْراكُ بِاللهِ وَعُقوقُ الْوالِدَيْنِ وَجَلَسَ، وَكانَ مُتَّكِئًا، فَقالَ أَلا وَقَوْلُ الزّورِ قَالَ فَما زَالَ يُكَرِّرُها حَتّى قُلْنا لَيْتَهُ سَكَتَ"[2].

وقال ابن عطية الأندلسي: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ من كلام لقمان، ويحتمل أن يكون خبراً من الله تعالى منقطعاً من كلام لقمان متصلاً به في تأكيد المعنى، ويؤيده هذا الحديث المأثور[3]، عن علقمة عن عبد الله قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[4] شقَّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه([5]) ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾

- **المطلب الثاني: أنواع الشرك.**

يبين لقمان لابنه خطورة الشرك؛ حتى يجنبه ويلات ذلك، ويحذره مخاطره وعواقبه، فيعلّمه أن الشرك بالله هو أعظم الظلم وأخطره.

([1]) المشني، الإعجاز البياني، ص13.
([2]) صحيح البخاري، (172/2)، كتاب الشهادات، باب ما قيل من شهادة الزور، رقم الحديث(2654)، وأخرجه مسلم في صحيحه، (91/1)، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث(87).
([3]) ابن عطية، المحرر الوجيز، (348/4).
([4]) سورة الأنعام، آية 82.
(5) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب (ولقد آتينا لقمان الحكمة)، رقم الحديث(3428).

هناك أنواع من الشرك، ومنها ما ذكره ابن القيم في (الجواب الكافي) فقال: "الشرك نوعان"[1]:

1) شرك يتعلق بذات المعبود وأسماءه وصفاته وأفعاله.

2) شرك في عبادته ومعاملته وإنّ صاحبه يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته ولا صفاته ولا في أفعاله.

والنوع الأول ينقسم إلى قسمين:

شرك التعطيل: وهو أقبح أنواع الشرك مثل شرك فرعون إذ قال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٢٣﴾﴾[2]، وشرك من جعل مع الله إلهاً آخر ولم يبطل أسمائه ولا صفاته، كشرك النصارى الذين جعلوا الله ثالث ثلاثة[3].

والنوع الثاني: وهو الشرك في العبادة وهو من جعل إلهاً آخر، فهو الذي لا يخلص في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه وطلب الدنيا تارة، ولطلب الرزق والجاه عند الخلق تارة أخرى، فالرياء كل شرك، وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل[4].

وذكر ابن تيمية في كتاب العبودية أنواع الشرك فقال:

1- الشرك الأكبر هو نفي الإسلام بالكلية.

2- الشرك الأصغر وهو الرياء.

3- الشرك الخفي: كقول الرجل ما شاء الله وما شئت[5].

([1]) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شمس الدين، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي الإصلاحي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط(1)، 1429هـ، ص298.

([2]) سورة الشعراء، آية 23.

([3]) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، ص299-300.

([4]) المرجع السابق نفسه، ص301.

([5]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ)، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، دمشق، ط(7)، 1426هـ-2005م، ص136.

لذلك يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتفحص عقيدته، وأن يتعهدها بالتنقية والتمحيص، فيزيل ما علق بها من شوائب.

وعلى ضوء ماسلف، فقد تقرر أن من واجب الآباء تجاه أبنائهم غرس مبادئ عقيدة التوحيد في نفوسهم وتأكيدها، وهذه العقيدة التي تقوم على توحيد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، وذلك لما تحدثه هذه العقيدة من توازن في شخصية الإنسان وسلوكه ومعاملاته مع الآخرين، وما تحدثه من استقامة وتوازن على مستوى أبعاده المتعددة الروحية والعقلية والنفسية والجسمانية، فالوحدانية تعني أن لا إله إلا الله خالق الكون والإنسان وعالم سرائره وما يلائمه في هذه الحياة.

- **المطلب الثالث: آثار التوحيد في قلوب أفراد المجتمع المسلم وثمراته.**

لقد وصى لقمان ابنه في أول وصية من وصاياه بأغلى وأعظم وصية وهي التوحيد، وعدم الشرك بالله؛ لأن لقمان يريد من ولده أن يعيش حياته وهو يوحد الله تعالى، حتى تستقيم طريقه، وتصفو عقيدته، وللتوحيد آثاره الطيبة منها:

1) التوحيد هدى ونور، وهو رأس الأمر ولبابه، ومتى صحت عقيدة المسلم تحرر من العبودية لغير الله.
2) يتحرر المسلم من الخرافات والطواغيت، ويشعر المسلم بالأمن والراحة، وحب الله ورسوله.
3) يزداد المسلم قرباً من الله وطمأنينة، ويعيش في كنف الله ورحمته في الدنيا والآخرة[1].

(1) ابن تيمية، العبودية، ص136.

4) توحيد العبد لله وإخلاصه له وإيمانه بعقيدة التوحيد بقلبه ولسانه وجوارحه عند الموت أوجب الله له مغفرة الذنوب، ومنعه من دخول النار[1] لقوله ﷺ: «أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ»[2].

5) التوحيد هو أفضل الأعمال، فمن قالها بإخلاص ويقين وعمل بمقتضاها ولوازمها استقام، فهذه حسنة له في الدنيا والآخرة لا يوازيها شيء[3] لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾[4].

6) وبالتوحيد يصلح الفرد ويستقيم المجتمع، وتقوى الأمة وتستقيم الأمور، وتستقر الحياة.

7) وللتوحيد قيمة أخلاقية وتربوية عظيمة، بأن يعرف العبد الإله معرفة صحيحة قوية واضحة، لا شبهة فيها، لتعينه على التحلي بالأعمال الفاضلة، والصفات الحميدة التي تكسبه مرضاة ربه في الدنيا والآخرة.

وبغير التوحيد لا تكون هناك حياة تنعم بالأمن والإيمان والطمأنينة، وتعم الفوضى والاضطرابات في المجتمع، ويكثر الفساد، وتنحل الأخلاق، فيحيا الإنسان حياة بهيمية ضائعة ويخسر دينه ودنياه.

([1]) التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد عبد الوهاب (ت1285هـ)، فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة- مصر، ط(7)، 1377هـ- 1957م، ص54.

([2]) أخرجه البخاري في صحيحه 2/ 71: كتاب الجنائز، باب: مَا جَاءَ فِي الجَنَائِزِ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رقم الحديث (1237). وأخرجه مسلم في صحيحه 1/ 94: كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، رقم الحديث (94).

([3]) التميمي، فتح المجيد، ص15.

([4]) سورة الأحقاف، آية 13.

المبحث الرابع

بر الوالدين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

مكانة الوالدين عند الله عظيمة، لذلك جاءت الوصية بهما بعد الوصية بعدم الإشراك بالله تعالى، فالوالدان يضحيان بحياتهما من أجل الأولاد، وقد تموت الأم من أجل مولودها، ومن أجل هذا فإن بر الوالدين لون من ألوان العبادة، والأخلاق الفاضلة، والسلوك الحميد، وقد ذكر في القرآن بر الوالدين في الشرائع السابقة أيضاً عند بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

وهذا المبحث سيتناول تفسيراً للوصية الثانية من وصايا لقمان لابنه، وأهمية بر الوالدين، وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم وذلك عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: الوصية الثانية من وصايا لقمان لابنه "(الإحسان إلى الوالدين وبرهما).

وتتثمل هذه الوصية في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ... ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾[2].

وقبل الشروع في تفسير هذه الآية لا بد من تعريف الوصية.

- الوصيةُ: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظٍ.
- الوصية لغةً كما عرفها ابن فارس: "الواو والصاد والحرف المعتل، أصلٌ يدل على وصل الشيء بشيء، ووصيت الشيء وصلته، ويقال: أرض واصية نبتها، قد امتلأت فيه"[3].

([1]) سورة البقرة، آية 83.
([2]) سورة لقمان، الآيتان(14، 15).
([3]) ابن فارس، مقاييس اللغة،(116/6).

- وعرف الراغب الأصفهاني الوصية فقال: هي التقدم إلى الغير بما يعمل به[1] مقترناً بوعظٍ، ويقال: أوصاه ووصاه، وتواصى القوم إذا أوصى بعضهم إلى بعض.
- والوصية: بيان مقرون بنصح مؤكد بعهد، وليس مجرد بيان عابر، أو نصح فاتر بل هي نصح مشدد مؤكد بعهد. وفي هذا بيان أن الله عز وجل وصّى الإنسان منذ تاريخ الإنسان الأول بعد آدم وزوجه بوالديه أبيه وأمه[2].

أما مادة الفعل (ووصينا) فهي تعني الأمر والعهد مع الحرص على الأداء؛ إذ الوصية كما تقدم في التعريف الاصطلاحي تحمل الأمر تحت مظلة روحانية وعظية، تضفي القوة والتوكيد والحرص التام على إتيان الفعل، مرتبطاً بالثواب والعقاب، بخلاف الأمر الصريح (أمرنا)، ويؤكد هذا استعمال القرآن هذا الفعل في أهم القضايا وأعظمها خطراً، فعلى سبيل المثال لا للحصر [3] قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾[4]، وفي باب الحقوق واجبة الرعاية قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ...﴾[5]، وغير هذا مما يشهد بصدق هذه الحقيقة.

- وأما صيغة الماضي فللدلالة على رسوخ هذه القاعدة، وأنها سنّة ثابتة مستقرة منذ الأزل، صادرة عن المسندِ إليه المُفخَّم بنون العظمة، الذي يستدعي سرعة الامتثال والخضوع والتطبيق الفوري.

([1]) الأصفهاني، المفردات، ص525.
([2]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، (11/711-712).
([3]) المشني، الإعجاز البياني، ص15.
([4]) سورة البقرة، آية 132.
([5]) سورة النساء، آية 11.

- ولفظ "الإنسان" دال بعمومه على شمول كل من هو أهل للخطاب من بني البشر، ويدخل فيه المؤمن دخولاً أولياً، ثم إن البر بالوالدين من القيم الضابطة للحياة الإنسانية الحافظة لبقائها وديمومتها في إطار المودة والانسجام.

وإيثار لفظ (بوالديه) على (أبويه)؛ للتنبيه على المعاناة والمكابدة، وأنهما يتمنيانه ويطلبانه حتى مع المشقة والتضحية والمجاهدة لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾(1)، وما أبلغ هذا التعبير الذي كان مدخلاً جميلاً، وتمهيداً حسناً، لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ...﴾(2)، وحَذْفُ مدارِ الوصية ها هنا أبلغ، ويؤكده ما تقدم من الكلام، ثم ليكون عاماً تذهب فيه النفس كل مذهب، لا حدّ له ولا مقدار(3).

- وقوله (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ) تخصيص الأم هنا بالحديث لحكم بليغةٍ أهمها:

أولها: أنها تتحمل النصيب الأوفر وتجود به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق.

ثانيها: أنها هي الأضعف، ومن ثَمَّ فهي بحاجة إلى الرفق والاشفاق والعناية والرعاية والطاعة والبر، فقوله (وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) أي كلما عظم في بطنها زادها ضعفاً على ضعف، وقيل: "ضعفاً متتابعاً، ضعف الحمل، وضعف الطلق وضعف النفاس"[4].

ثالثها: ما ورد عن رسول الله ﷺ حين سئل عن حسن الصحبة وأحقيتها: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:

---

(1) سورة البلد، آية 4.
(2) سورة لقمان، آية 14.
(3) المشني، الإعجاز البياني، ص15.
(4) الألوسي، روح المعاني، (84/11).

«أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ». [1].

قال القرطبي: "لما خص الله تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث مراتب، وللأب واحدة"[2].

رابعها: "وهناً على وهن" جملة معترضة تعليلية لتوكيد الوصاية؛ لأن تعليل الحكم يفيد توكيده[3].

خامسها: أن لها حق الحضانة؛ فهي المربية والمنشئة والمرشدة، ولها القدرة على التحمل والسهر والمصاحبة، وكل ذلك في مرحلة الطفولة وما بعدها وصدق الله: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[4]، ففي الآية توكيد واضح لحقهما فيما تقدم[5].

سادساً: (أن اشكر لي)، (أن) في موضع نصب، والمعنى: ووصينا الإنسان بوالديه أن اشكر لي، والأجود أن تكون (أن) مفسرة، والمعنى: قلنا له: أن أشكر لي ولوالديك، فالشكر لله على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية[6].

ومعنى فصاله: أي فطامه، وترك إرضاعه، (في عامين): أي في انقضاء عامين، وظاهر الآية أن مدة الرضاع عامان وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء[7].

([1]) البخاري، الجامع الصحيح، (2/8)، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم الحديث(597)، وأخرجه مسلم في صحيحه(1974/4)، كتاب فضائل الصحابة، باب بر الوالدين، رقم الحديث(2548).
([2]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (64/16).
([3]) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، بيروت، ط(1)، 1408هـ- 1988م، (18/4).
([4]) سورة الإسراء، آية 24.
([5]) المشني، الإعجاز البياني، ص16-17.
([6]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (475/16)، وانظر أبو حيان، البحر المحيط (182/7).
([7]) المشني، الإعجاز البياني، ص16-17.

- ولكل ما تقدم كان تخصيص الأم بالذكر، وفي ضوء ما تقرر فلو بذل الإنسان كل ما يملك، وقدّم لها كل ما بوسعه أن يقدم ما أوفاها حقها ولا نصيفه، روى البخاري في الأدب المفرد عن سعيد بن أبي بردة قال: "سمعت أبي يحدث أنه شهد ابن عمر رجلاً يمانياً يَطُوفُ بِالْبَيْتِ حَمَلَ أُمَّهُ وراء ظهره يقول:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُذَلَّلُ * إِنْ أُذْعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَرِ

ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ: لَا، وَلَا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ"[1].

- وتختم الآية الكريمة بأجمل ترتيب متمثلاً في الشكر لله أولاً؛ فهو المنعم المتفضل بالخلق والإيجاد والإبداع، ثم الشكر للوالدين؛ لأنهما السبب في الإيجاد والولد سعيهما وثمرة غراسهما.

ومن الأمور التي ينبغي النظر فيها والتأمل في الآية:

- توجيه الشكر للوالدين بعد التخصيص بذكر الأم؛ وذلك لتوكيد استحقاقهما به، واشتراكهما فيه، ثم لدفع توهم تخصيص الأم بالشكر، وتفردها به دون الأب.
- وما أجمل ربط ما تقدم كله بتلك النهاية التي تمثلها الفاصلة القرآنية (إليّ المصير)، ففيه من التذكير والوعظ والتحذير ما يكون داعياً للحمد والشكر، وتقديم الجار والمجرور لإفادة التخصيص، وهو ينطوي على تلويح بوعدٍ ووعيدٍ، وعد بالبشارة لمن شكر، ووعيدٍ بالنذارة لمن خالف وتنكر[2].

([1]) أخرجه البزار في مسنده، ينظر: البحر الزخار(276/10)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان(312/10)، صححه الألباني.

([2]) أبو حيان، البحر المحيط، (182/7).

- قوله تعالى: (وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [1].

وأما المجاهدة فمعناها المشقة، وأصل المجاهدة: المغالبة ببذل كل من الفريقين طاقته، ليغلب الفريق الآخر المغالب له، وأقصاها المقاتلة[2].

لما ذكر الله سبحانه وتعالى وصيته بالوالدين، وأكد حقهما، أتبعه الدليل على ما ذكر لقمان عليه السلام من قباحة الشرك، فقال ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ أي مع ما أمرتك به من طاعتهما، وأشار بصيغة(المفاعلة) إلى مخالفتهما، وإن بالغا في الحمل على ذلك ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي﴾[3].

وأشار إلى أداة الاستعلاء إلى أنه لا مطمع عن إطاعتهما في ذلك، ولو باللفظ فحسب أن يكون في عداد المحسنين، وإن كان الوالدان في غاية العلو والتمكين من الأسباب الفاتنة له، بخلاف سورة العنكبوت؛ فإنها مطلق الفتنة وليست لقوة الكفار، فعبر فيها بلام العلة، إشارة إلى مطلق الجهاد الصادق بقويّه وضعيفه، ففي الموضعين نوع رمز إلى أنه إن ضعف عنهما أطاع باللسان، ولم يخرجه ذلك عن الإيمان، كما أخرجهما عن الوصف بالإحسان ولذلك حذر في الآية التي بعد تلك من النفاق لأجل الفتنة، وأحال سبحانه على اتباع الأدلة على حكم ما وهب من العقل عدلاً وإنصافاً، فقال: ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ إشارة إلى أنه لا يمكن أن يدل علم من أنواع العلوم على شيء من الشرك بنوع من أنواع الدلالات؛ بل العلوم كلها دالة على الوحدانية على الوجه الذي تطابقت عليه العقول وتظافرت عليه من الأنبياء والرسل النقول.

([1]) سورة لقمان، آية 15.
([2]) ابن فارس، مقاييس اللغة، (486/1)، الأصفهاني، المفردات، ص151.
([3]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، (715/11).

ومعنى ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ أي ولو اجتمعا على المجاهدة لك عليه خالفهما، وإن أدى الأمر إلى السيف فجاهدهما به؛ لأن أمرهما بذلك منافٍ للحكمة حامل على محض الجور والسفه، وفيه تنبيه لقريش على محض الغلط في التقليد لآبائهم في ذلك[1].

وتؤكد الآية أن رابطة العقيدة فوق كل رابطة حتى لو كانت أشد الروابط وأعزها؛ رابطة الدم، الأبوة والأمومة التي هي سبب وجود الإنسان؛ لأن الله مالك الوجود وموجده، ومهما حاولا من استفراغ طاقة التحمل والصبر، فليس ذلك مسوغاً لطاعتهما في الثني عن عقيدة التوحيد فالشرك جريمة لا تغتفر[2].

وعقب ابن عاشور بقوله: (وإن جاهداك لتشرك بي) في سورة العنكبوت وقال هنا ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي﴾، وقال في العنكبوت (لتشرك بي) فأما حرف (على) فهو أدل على تمكُّن المجاهدة، أي مجاهدة قوية للإشراك والمجاهدة هنا شدة السعي والإلحاح، والمعنى: إن ألحَّا وبالغا في دعوتك إلى الإشراك بي فلا تطعهما، وهذا تأكيد للنهي عن الإصغاء إليهما إذا دَعَوا إلى الإشراك، وأما آية العنكبوت فجيء فيها بلام العلة؛ لظهور أن سعداً كان غنياً عن تأكيد النهي عن طاعة أمه لقوة إيمانه[3].

ومجمل القول أن التعبير القرآني جاء بالاستعلاء ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ﴾ أن الفتنة في سورة لقمان أشد وطأً على القلب والنفس؛ وذلك لقوة استعلاء الوالدين وأمرهما بالشرك، وأنهما مستعليان ولهما سلطة وقوة قاهرة على الولد.

([1]) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (16/6).
([2]) المشني، الإعجاز البياني، ص16.
([3]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (160/21).

بينما جاء التعبير القرآني بلام التعليل في سورة العنكبوت (لتشرك بي) لأن الفتنة أخف وأقل وطأة على سعد، وأن سعداً كان غنياً عن تأكيد النهي عن طاعة أمه لقوة إيمانه.

وقد ورد سالفاً سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في قضية سعد بن أبي وقاص ومعارضة أمه حينما أسلم[1].

﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ يراد به أن الولد مطلوب منه عدم طاعة الوالدين لطالما كان يعلم أنهما يأمرانه بالشرك، ومعنى ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ أي في أمورهما التي لا تتعلق بالدين وعليه إطعامهما وكسوتهما، وعدم جفائهما وانتهارهما، وعيادتهما إذا مرضا، ومواراتهما إذا ماتا مادامت حياتهما[2].

ومجيء لفظ (المصاحبة) يقتضي الملازمة وطول المكث، وهذا يعني عدم المقاطعة، والتواصل والرحمة والحلم؛ لأن ذلك من شيم المروءة، ومجيء لفظ (الدنيا) للدلالة على قربها وقصرها وأنها فانية، لا يؤبه إليها إذا ما قيست بالآخرة الباقية الخالدة، التي هي في قوله تعالى ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، فبعد أن بين الله طاعة الوالدين لا تكون إلا فيما يرضيه تعالى، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، مع الاحتفاظ بحق الأبوَّة وتعظيمه في الحياة بعد هذا، بين من هو الحقيق بالاتباع الجدير بأن يكون المثال القدرة والنموذج الأسوة(3).

وفي الختام يأتي توكيد النهاية (إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ) أي جميعاً، من شكر ومن كفر، من وحد ومن أشرك، وتقديم الجار والمجرور لإفادة التخصيص، ثم للعناية بهذا الرجوع، وفيه تلويح بالوعد والوعيد أيضاً كما سبق.

([1]) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص351، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (157/21)، الألوسي، روح المعاني، (87/8).
([2]) أبو حيان، البحر المحيط، (182/7).
([3]) المشني، الإعجاز البياني، ص18.

- (فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)، تطبيقاً للعدالة الإلهية؛ فكل مرهون بعمله، فيجازي المؤمن المنيب إليه على إيمانه وإنابته، ويجازي المشرك على شركه وكفره[1].

- **المطلب الثاني: أهمية بر الوالدين**

أمر الإسلام ببر الوالدين والإحسان إليهما وطاعتهما، واحترامهما، وقد جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة المطهرة تبين فضل برهما والإحسان إليهما، ومن هذه النصوص القرآنية ما مر سالفاً في سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ...﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا.﴾[3]، وغيرها من الآيات الكريمة التي تحث على بر الوالدين والإحسان إليهما[4].

وإلى جانب الأمر العام بالبر أعلى الإسلام منزلته، وبين فضله، ويظهر ذلك فيما يأتي:

الإشادة به، حتى جعل التوفيق له من أكبر النعم التي امتَنَّ الله بها على خاصة خلقه من الأنبياء، فقال عن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾[5]. وقال في عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾[6].

([1]) المشني، الإعجاز البياني، ص19.
([2]) سورة لقمان، آية 14.
([3]) سورة الأحقاف، آية 15.
([4]) صقر، عطية، موسوعة الأسرة تحت رعآية الإسلام- الوالدان والأقربون، مكتبة وهبة، ط1، (1425هـ-2004م)، (14/5).
([5]) سورة مريم، آية 14.
([6]) سورة مريم، آية 32.

وجاء الأمر به بعد الأمر بتوحيده سبحانه كما مرّ في سورة لقمان في وصيته لابنه، بعد نهيه عن الشرك بالله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ...﴾[1].

فقد وضع الله تعالى بين الوصية الأولى والثالثة الوصية بالوالدين فهذا يدل على أن الوصية بهما من الله لا من لقمان.

ويعلق أبو السعود بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ تعليل النهي أو للانتهاء عن الشرك، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ كلام مستأنف اعترض به على منهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك[2].

وقال أبو حيان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ هو من كلام لقمان، وقيل هو خبر من الله منقطع عن كلام لقمان متصل به في تأكيد المعنى، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ لما بين لقمان لابنه أن الشرك ظلم ونهاه عنه، كان ذلك حثاً على طاعة الله، ثم بين أن الطاعة تكون للأبوين، وبين السبب في ذلك، فهو من كلام لقمان مما وصّى به ابنه، أخبر الله عنه بذلك، وقيل هو من كلام الله، قال لقمان أي وقلنا له: اشكر وقلنا له: ووصينا.

وقيل في هذه الآية اعتراض بين أثناء وصية لقمان، وفيها تشديد وتوكيد لاتباع الوالد لوالده، وامتثال أمره في طاعة الله تعالى[3].

ورجح القرطبي في تفسيره أنه من كلام لقمان؛ لما ورد في الحديث المأثور أنه لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[4] أشفق أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟

([1]) سورة لقمان، الآيتان (13، 14).
([2]) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت982هـ)، إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (71/7).
([3]) أبو حيان، البحر المحيط، (182/7)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (472/16).
([4]) سورة الأنعام، آية 82.

فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ فسكن إشفاقهم، وإنما يسكن إشفاقهم بأن يكون خبراً من الله تعالى، وقد يسكن إشفاقهم بأن يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد[1].

والراجح لدى الباحثة هو أن هذا القول هو من كلام لقمان؛ لما ورد في الحديث المأثور سالف الذكر.

ومن مظاهر بر الوالدين كما جاء في السنة الشريفة:

1) تفضيل بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله، ويظهر ذلك فيما ورد عنهﷺ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبيﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [2].
2) جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ"[3].

ومما يدل على أهمية بر الوالدين في الإسلام تقديمه على الصلاة النافلة وغيرها من نوافل الطاعات، بما دلت عليه قصة جريج العابد فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما[4]،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ يُصَلِّي ، فَجَاءَتْهُ أُمُّهُ ، فَدَعَتْهُ ، فَأَبَى أَنْ يُجِيبَهَا ، فَقَالَ : أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي ، ثُمَّ أَتَتْهُ فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ : لَأَفْتِنَنَّ جُرَيْجًا ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ ، فَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى ، فَأَتَتْ رَاعِيًا ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا ، فَوَلَدَتْ

([1]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (472/16)، ابن عطية، المحرر الوجيز(348/4).
([2]) البخاري، الجامع الصحيح(156/9)، كتاب التوحيد، باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً، رقم الحديث(7534)، وأخرجه مسلم في صحيحه (89/1)، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله، رقم الحديث(85).
([3]) البخاري، الجامع الصحيح، (59/4)، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، رقم الحديث(3004)، وأخرجه مسلم في صحيحه(1975/4)، كتاب البر والصلة، باب ار الوالدين وأنهما أحق به، رقم الحديث(2549).
([4]) البخاري، الجامع الصحيح، (137/3)، كتاب المظالم والغضب، باب إذا هدم حائط فليبن مثله، رقم الحديث(2482)، وأخرجه مسلم وصحيحه(1976/4)، كتاب البر والصلة، باب تقديم بر الوالدين على التطوع في الصلاة، رقم الحديث(2550).

غُلاَمًا فَقَالَتْ : هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ ، فَأَتَوْهُ ، وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ ، فَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الغُلاَمَ ، فَقَالَ : مَنْ أَبُوكَ يَا غُلاَمُ ؟ قَالَ : الرَّاعِي ، قَالُوا : نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ : لاَ ، إِلَّا مِنْ طِينٍ، وهناك أحاديث كثيرة تبين أهمية البر وأكتفي بما ذكرته في هذا المقام.

- **المطلب الثالث: آثار بر الوالدين**

بر الوالدين هو الشكر على ما بذلاه من جهد وطاقة في تربية الأولاد، ورعايتهما والتواضع لهما، ولين القول لهما، والإحسان لهما وطاعتهما في غير معصية الله، والدعاء لهما بعد موتهما، ولبر الوالدين آثار دينية ودنيوية، تظهر عاجلاً في الدنيا كما تظهر آجلاً في الآخرة منها[1]:

1- تشرف الإنسان بامتثال أمر الله في بر الوالدين، وهذا يحقق فيه وصف المطيع لله.

2- تشرفه باتصافه بما وصف به يحيى وعيسى عليهما السلام، وغيرهما من الأنبياء الذين بروا والديهم.

3- ارتياح الضمير بأداء الواجب ورد الجميل إلى الوالدين.

4- تمتعه بالانسجام مع الأسرة، وتبادل التقدير والعطف بينه وبين والديه.

5- سيرته العطرة على ألسن الناس وتقديرهم له بما ورد في قصة أويس القرني الذي كان مستجاب الدعاء كما رواه الإمام مسلم في صحيحه.

البركة في العمر، كما ورد في الحديث: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ [2].

6- تفريج الكربات، واستجابة الدعاء، ويظهر ذلك من خلال حادث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة.

([1]) صقر، موسوعة الأسرة تحت رعآية الإسلام، (5/14-19).

([2]) البخاري، الجامع الصحيح، (3/56)، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، رقم الحديث(2067)، وأخرجه مسلم في صحيحه(4/1982)، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث(2557).

7- بر ولده به؛ جزاءً بالمثل.

8- كفارةٌ للذنوب[1].

10- مفتاحٌ لدخول الجنة ورفع الدرجات عند الله تعالى، فعن مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السَّلَمِيِّ[2]ﷺ، أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا»[3].

وهكذا فإن المجتمع الذي يتصف أفراده بالبر بالوالدين يكون مجتمعاً مرضياً وموفقاً وقوياً، وتسود فيه البركة والرحمة، وتظهر فيه آثار البر.

([1]) موسوعة الأسرة تحت رعآية الإسلام، (5/25-28).

([2]) معاوية بن العباس بن مرداس السلمي، روى عن النبيﷺ وروى عن محمد بن طلحة وعكرمة، انظر: المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(1)، 1400هـ-1987م، (28/162).

([3]) النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، المجتبى من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط(2)، 1406هـ-1986م، كتاب الجهاد، باب الرخصة في التخلف لمن له والده، (60/11)،، رقم الحديث (3104)، مكتبة حلب الإسلامية للمطبوعات.

المبحث الخامس

اتباع سبيل الصالحين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

إن اتباع سبيل الصالحين، ونهجهم والاقتداء بهم، يغرس الأخلاق الرفيعة في النفس، ويعين على الطاعة والعبادة، لذلك فإن لقمان الحكيم يوصي ابنه باتباع سبيلهم؛ لأن الصاحب الصالح كحامل المسك، إمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن يحذيك.

وهذا المبحث سيتناول الحث على اتباع سبيل الصالحين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم وذلك عبر المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: الوصية الثالثة (اتباع سبيل الصالحين وصحبتهم)**

وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿... وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾[1].

بعد أن بين الله طاعة الوالدين ولا تكون إلا فيما يرضيه تعالى، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، مع الالتزام ببر الوالدين والإحسان إليهما في الحياة، في ختام هذه الآية بقوله تعالى: (...وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ). أي لا تطع والديك المشركين في مجاهدتهما إياك لتشرك بربك، واتبع سبيل من أناب إليَ. والمنيبون إلى الله، هم الرسل، وأتباع الرسل.

ومعنى الإنابة الرجوع إلى الله بالتوبة[2] وقال الراغب: الإنابة: الرجوع إلى الله بالتوبة وإخلاص العمل[3].

([1]) سورة لقمان، آية 16.
([2]) ابن منظور، لسان العرب، (775/1).
([3]) الأصفهاني، المفردات، ص508.

- وقال الرازي عند تفسير هذه الآية **(وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ)** اتبع سبيل النبيﷺ فإنه مربي عقلك كما ان الوالد مربي جسمك(1).
- قال البغوي عند تفسير هذه الآية **(وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ)** هو النبيﷺ وأصحابه- رضوان الله عليهم-(2)، واتباع سبيل من أناب هو الاقتداء بالمنيبين لله، أي الراجعين إليه فالمراد (أناب) المقلعون عن الشرك وعن المنهيات والتي منها عقوق الوالدين والشرك.
- **(ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)** هذه الآية معطوفة على الجمل السابقة، ودلالة (ثم) للتراضي الرتبي المفيد للاهتمام بما بعدها أي وعلاوة على ذلك كله، **(إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)** وضمير الجمع للإنسان والوالدين، أي مرجع الجميع، ودلالة تقديم الجار والمجرور، للاهتمام بهذا الرجوع أو هو (للتخصيص)، أي لا ينفعكم شيء مما تأملونه من الأصنام، واستعمال لفظ (الإنباء) كناية عن إظهار الجزاء على الأعمال؛ لأن الملازمة بين إظهار الشيء وبين العلم به ظاهرة، وجملة **(إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ)** وعد ووعيد، وفي هذه الضمائر تغليب الخطاب على الغيبة؛ لأنه أعرف(3).

والمعنى المطلوب من هذه الآية **(وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ)** أي اتباع دين الله وتطبيق أحكامه وشرائعه.

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، (120/9).
(2) البغوي، معالم التنزيل،(239/4).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (161/21-162).

ولا ريب أن أسوتنا في اتباع الصالحين رسولنا محمدﷺ، وصحابته–رضوان الله عليهم– ومن اتبعهم بإحسان، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[2]. والحق أن موجبات الآية الكريمة ضرورة اختيار الصحبة الصالحة؛ لما لها من تأثير في سير حياة الولد، لذلك لا عجب أن تأتي هذه في ثنايا وصايا لقمان، ضرورة أنها من دُرَرِ الحكم، وكنوز المعرفة، ولا شك أن القرآن الكريم والسنة النبوية اشتملا على التوجيهات والإرشادات في وجوب اختيار الصحبة الصالحة النافعة.

- **المطلب الثاني: الحث على اتباع سبيل الصالحين وصحبتهم وآثار ذلك في بناء المجتمع المسلم**

إن اتباع سبيل الصالحين يربي الأخلاق الرفيعة في النفس، ويعين على تزكية النفس وتهذيبها؛ لان الإنسان مولع بمحاكاة من حوله، شديد التأثر بمن يصاحبه لذلك كان في ثنايا وصايا لقمان لابنه أن يتبع سبيل الصالحين المنيبين إلى الله تعالى، وقد أمرنا القرآن باتباع الصالحين، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[3].

وكذلك جاءت السنة المطهرة تحثنا على اتباع واختيار سبيل الصالحين، والسير على خطاهم.

([1]) سورة الأحزاب، آية 21.
([2]) سورة يوسف، آية 108.
([3]) سورة الكهف، آية 28.

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»[1].

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقُهُوا، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً"[2].

- أما الآثار الطيبة لاتباع سبيل الصالحين، وصحبتهم فهي تأتي بثمار طيبة في كل حين:

- فهي تغرس الأخلاق الرفيعة في نفوس أفراد المجتمع المسلم.

- تعين على تزكية النفس وتهذيبها، قال ابن حزم–رحمه الله–: من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة، والبر، والصدق، وكرم العشيرة، والصبر والوفاء والأمانة، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحة المودة[3].

- تأثير الصاحب في تصحيح المفاهيم الخاطئة عند صاحبه، والشاهد أن صحبة النبي ﷺ ومجالسته كانت تسمو بنفوس الصحابة، وترقق قلوبهم.

- الصحبة الصالحة تعين على تحريك القلب الجامد، وترقق القلوب وتزهد في الدنيا.

- اتباع سبيل الصالحين يرفع الهمة في العبادة، فقد جاء عن بعض أصحاب محمد بن واسع– رحمه الله– قوله: "كنت إذا اعترتني فترة في العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتهاده فعملت على ذلك أسبوعاً.

([1]) أخرجه أبو داود في سننه (259/4)، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم الحديث(4832)، وأخرجه الترمذي في سننه (600/4)، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، رقم الحديث(2395).

([2]) مسلم، صحيح مسلم، (1958/4)، كتاب الفضائل، باب خيار الناس، رقم الحديث(2526).

([3]) العلي، إبراهيم محمد العلي، رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس، تقديم: الدكتور أحمد الرقب، مركز حراء، ط2، (1426هـ-2005م)، ص190.

- اتباع سبيل الصالحين يعين على التسابق إلى الخيرات، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب: «ما أعطي عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح، فإذا رأى أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به».
- وقال الحسن البصري–رحمه الله–: «إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا؛ لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة»[1].

بعد ذكر هذه الآثار الإيجابية العظيمة، وما لها من أثر عظيم في بناء أفراد المجتمع الإسلامي وصفاء نفوسهم، ورسوخ الأخلاق الفاضلة في قلوبهم، جاء التأكيد على اتباع سبيل الصالحين واختيار الصاحب الصالح في الكتاب وعلى لسان رسول الله ﷺ.

(1) العلي، رياض الأنس، ص198.

المبحث السادس

مراقبة الله تعالى وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

اللهُ سبحانه وتعالى خبيرٌ وعليمٌ بكل شيء، خبير بدبيب النمل في الليل المظلم، خبير بمبهمات الجن والإنس، خبير بما يجول في صدر الإنسان وما في ذهنه، وعليه أراد لقمان الحكيم لابنه أن يتعامل مع ربه بوضوح دون رياء؛ حتى لا يضل، ولا تتعثر قدماه، فيسقط في الرذيلة والخطيئة، فالله رقيب، وخبير بأفعال العباد.

وهذا المبحث سيتناول مراقبة الله تعالى، وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم، وذلك عبر المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: الوصية الرابعة (مراقبة الله تعالى، الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض)**

وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾[1].

أراد لقمان أن يفهم ابنه شمول علم الله كل شيء، وعظيم قدرته على ما يشاء من كل ما يراه الناس عسيراً وصعباً، فضرب له مثلاً بأصغر الصغيرات التي يعرفها من الحبوب النباتية، والتي يشبه الناس الصغيرات جداً بها، وهي حبة الخردل فأبان له أنها لو كانت في باطن صخرةٍ شديدة القساوة، أو في مكان في السماوات والأرض؛ فإن الله عليم بها، خبير بكل أحوالها؛ لأن

(1) سورة لقمان، آية 16.

الله لطيف خبير. فبدأ بقوله يا بني: بيان ما في هذه العبارة من اهتمام شديد بالنداء بحرف النداء (يا) مع ما في التصغير من تقريب وتحبب[1].

ويقول ابن عاشور: اجتمع في هذه الجملة ثلاثة مؤكدات النداء، وإن، وضمير القصة؛ لعظم خطر ما بعده، وهي القدرة المحيطة بجميع الممكنات بقرينة قوله (يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۗ)[2].

(إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ): تلك أصلها (تكن) وهذا من المواضع التي يجوز فيها حذف نون مضارع(كان).

ويجوز حذف نون المضارع بشرط كونه مجزوماً بالسكون، غير متصل بضمير نصب ولا ساكن نحو (ولم أك بغيا) ووجه الاستشهاد حذف نون (أك)؛ لأن الفعل أتى بصيغة المضارع، وهو مجزوم بلم، وغير متصل بضمير نصب ولا ساكن[3].

ومعنى مثقال: مثقال الشيء مثله في وزنه ومقداره، وقيل زنة ذرة[4].

والخردل: حب شجر مسخن ملطف جاذب، قالع للبلغم، ملين هاضم، نافع طلاؤه للنقرس والنسا والبرص، ودخانه يطرد الحيات، وماؤه يسكن وجع الأذن تقطيراً[5]. وهو اسم فصيلة من النباتات الموسمية المورقة التي تنمو في المناطق المعتدلة، ولهذا النبات بذور على شكل حبوب

([1]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، (718/11-719).
([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (162/21).
([3]) ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، (260/1).
([4]) عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، ط(1)، 1429هـ-2008م، (322/1).
([5]) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ص992، الجوهري، تاج العروس، (403/28).

صغيرة جداً، يشبّه الناس الأشياء الصغيرة بحبةٍ منها؛ لصغرها الشديد بالنسبة إلى ما يستعمل الناس من حبوب نباتات، وحب الخردل يستعمله الناس في التوابل[1].

وقال ابن عاشور: الخردل نبت له جذر وساق قائمة متفرعة اسطوانية، أوراقها صُفُر سنبلية تتحول إلى قرون دقيقة وتخرج بذوراً دقيقة تسمى الخردل، ولب تلك البذور شديدة الحرارة يلدغ اللسان والجلد، وهي سريعة التفتت وهو كثير الاستعمال في الطب قديماً وحديثاً.

(فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ): أي فتكن هذه الغائبة الخفية على الخلائق داخل صخرةٍ شديدة القساوة، والصخرة من أجزاء الأرض، فذكر بعدها (أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ) وعطف عليه (أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ) لقصد تعميم الأمكنة الأرضية.

ودلالة استعمال (الإتيان) كناية عن التمكن منها، وهو أيضاً كناية رمزية عن العلم بها؛ لأن الإتيان بأدق الاجسام من أقصى الأمكنة وأعمقها وأصلبها لا يكون إلا عن علم بكونها[2].

(إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ): اللطيف: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه الذي يجري تدابيره وأعماله وأفعاله برفق تام لا عنف فيه ولا خشونة.

واللطيف: الذي يدخل ويخرج بدقةٍ دون ان يحس بدخوله وخروجه من الكائنات اللطيفة الملائكة، والنسيم، والأشعة والأرواح.

أما الخبير: فهو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعنى الخبير في اللغة: العليم بالشيء عن تجربة وممارسة مع شهود وحضور مصاحب لكل أجزاء العمل الذي يعمله ظاهراً وباطناً.

([1]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، (720/11-721).
([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (163/21).

والله عز وجل عليم علماً كاملاً شاملاً لكل ظواهر الأشياء وبواطنها وكل ما يجري بالكون فهو به خبير[1].

وقال ابن عاشور: اللطيف إيماء إلى أن التمكن منها وامتلاكها بكيفية دقيقة تناسب فلق الصخرة، واستخراج الخردلة منها مع سلامتها وسلامة ما اتصل بها من اختلال نظام صنعه[2].

بعد بيان هذه الآية يتبيَّن أنَّ المراد من هذه الصورة المرسومة، وهذا التشبيه الدقيق لعلم الله عز وجل وإحاطته بكل شيء خفي، التأثير على نفس السامع حيث يستشعر علم الله عز وجل واطلاعه عليه، ويعيش حقيقة أن الله عز وجل ناظر إليه، مطلع على ما يخفيه في قلبه وما يظهره، فلا يعصي الله.

- **المطلب الثاني: آثار مراقبة الله في نفوس وأخلاق أفراد المجتمع المسلم.**

إن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أمر الخلائق، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة، ولا يظلم الناس فتيلا، ولا يقدر أحد من الخلائق على الفرار من الحساب والجزاء، فهو محيط بكل شيء، ورقيب على كل شيء، وبناءً على ذلك يجب على الآباء، والأمهات، والمربين أن يغرسوا في قلوب أبنائهم وتلاميذهم مراقبة الله تعالى لتصبح هذه المراقبة سلوكاً لازماً لهم في أخلاقهم ومعاملاتهم وفي جميع تصرفاتهم، ولتنمو فيهم الأخلاق والمثل الآتية:

1- تنمية روح المراقبة الذاتية المرتكزة إلى صفة العلم المطلق التي تستدعي تربية النفس، وضبط تصرفاتها في السر والعلن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن

([1]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، ص720-721.
([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (164/21).

نَجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

1- إيجاد ملكة المحاسبة، والمبادأة بالنقد الإيجابي للذات، وهي درجة متقدمة في الإيمان، أقسَمَ الله بالنفس التي تحملها لعظيم شأنها فقال: (وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢)[2].

2- بناء الشخصية المتوازنة، المتميزة في إخلاصها وولائها لله تعالى؛ لأن استشعار صفة العلم الإلهي هو الوقاية للإنسان من الزلل والخطأ في توجيهاته وسلوكه[3].

3- يصل الإنسان المسلم إلى مرتبة الإحسان في عبادته وتقربه من الله وكأنه يعبد الله كأنه يراه، وبهذا يستقيم عمله وتخلص نيته، ويلتزم بأحكام ربه، ويبتعد عن معاصيه ومخالفته.

وفي ظل هذه الموعظة يكون لقمان قد غرس في ولده قيمة المراقبة الذاتية والمحاسبة النفسية المتولدة من تقوى الله ومراقبته في السر والعلن، ولتستقيم شخصيته، وينال رضى الله في الدنيا والآخرة.

([1]) سورة المجادلة، آية 7.
([2]) سورة القيامة، آية 2.
([3]) المشني، الإعجاز البياني، ص21.

المبحث السابع

الصلاة وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.

للصلاة أهمية كبرى في الإسلام، فهي أول ما فرض على المسلمين، وهي آخر ما أوصى به سيدنا محمدﷺ، وهو في مرضه، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فهي جماع الخير كله في الدنيا والآخرة.

هذا المبحث سيتناول شرحاً لهذه الوصية (إقامة الصلاة وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم) وذلك عبر المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: الوصية الخامسة (إقامة الصلاة والمحافظة عليها)**

وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾[1].

إنه لمن الغاية في الحقيقة، والنهاية في البيان أن تأتي هذه الوصية، وما ينبني عليها، بعد أهم ركن من أركان العقيدة، وهو الإيمان بالله، وبصفاته وعلى رأسها الوحدانية، إنها تجيء بأهم ركن من أركان الدين، وعماده، وهو الصلاة، التي جاء الأمر بها في هذا المقام.

ومن حسن البيان هنا أن لقمان الحكيم لا يمل من أن ينادي ولده **(يا بني)**؛ وذلك للتوكيد على أنه جزءٌ منه، ولبيان حنوه عليه، وحرصه على وجوده ومستقبله، ونهايته؛ استشعاراً منه لصفة العلم والعدل الإلهي[2]، ثم ناداه ها هنا ليملك ذاته وحريته في ظل التعبير الأسمى عن عبوديته لله عز وجل، وليدرك من خلال هذه العبادة غاية وجوده، وضابط تصرفاته، ومعيار

([1]) سورة لقمان، آية 17.
([2]) المشني، الإعجاز البياني، ص22.

قبول أعماله أوردها، فإن أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فقد خاب وخسر[1].

وقد افتتحت هذه الوصية بالإنشاء، نداءً وأمراً، والأمر مقتضاه الإتيان على وجه الإلزام والوجوب، ولعظمة ما يترتب عليه من قضايا، وخطورته مما يعود على المكلف والمشرّع، وللمكلف طهور وتزكية واستقامة، وللمشرع صدق هذا التشريع وفاعليته.

(أقم الصلاة) يلفت القرآن النظر لصيغة الفعل ومادته، فصيغة الفعل(قام) على اختلاف تقاليبها ومشتقاتها تعني بالضرورة، الأداء على الوجه الاكمل وجوباً حقيقياً، لا شكلاً ولا ظاهراً حتى تؤدي وظيفتها، وأما مادة الفعل من (قام) أثرها على غيرها مثل (الأداء)، لتحقيق كامل العناية والرعاية بالأركان والواجبات، والسنن والآداب، لتتحقق غايتها، ويعم أثرها وخيرها[2].

والمراد بإقامة الصلاة: المداومة والمواظبة فيها، وجعلها مستقيمة خالصة لوجه الله تعالى، لا عوج فيها، ولا رياء ولا سمعة، ولا زيادة ولا نقصان، والمحافظة على أدائها في أوقاتها[3].

ويروى أن لقمان قال لابنه: يا بني إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء، صلّها واسترح منها، فإنها دين، وصل في جماعة ولو على رأس زُّج[4].

- **المطلب الثاني: أهمية الصلاة وأثرها في أفراد المجتمع المسلم.**

بعد توجيهات لقمان لابنه في العقيدة والإيمان، يوصيه بالعبادة؛ على اعتبار أن العبادة بعد العقيدة، فبعد أن عرف الله، وآمن به، يتوجه إليه بالشعائر الدينية، التي أبرزها الصلاة،

([1]) المشني، الإعجاز البياني، ص22.
([2]) المرجع السابق نفسه، ص23.
([3]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، (722/11)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (164/21).
([4]) روح المعاني، (88/8). والزُّج: حديدة أسفل الرمح، جمعه، زجاج، الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص211.

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام؛ بل هي عمود الإسلام؛ إذ هي صلة العبد بربه، وتوجيه لقمان لابنه نحو الصلاة يدل على أهمية الصلاة، وعلى وجوبها على السابقين، قال تعالى: ﴿...إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾[1].

ومن الأدلة على أهمية الصلاة أنها أول العبادات وأهمها، فقد روى ابن عباس أن النبيﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ""[2].

وما رواه عبد الله بن عمرﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ"[3].

وهناك أدلة كثيرة تدل على أهمية الصلاة، إلا أن المقام لا يتسع لذكرها جميعها، ولا بصدد البحث عن أركانها وشروطها وكيفيتها وأوقاتها، فهذا موجود في كتب الفقه الإسلامي مفصلاً، والذي يهمنا في هذا المطلب أثر الصلاة في المجتمع المسلم.

([1]) سورة النساء، آية 102.

([2]) البخاري، الجامع الصحيح (129/7)، كتاب المظالم والغضب، باب: الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، رقم الحديث(2448)، وأخرجه مسلم في صحيحه (51/1)، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى شهادتين وشرائع، رقم الحديث(19).

(3) البخاري، الجامع الصحيح (14/1)، كتاب الإيمان، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة، رقم الحديث(25).

1- الصلاة نعمة كبيرة منَّ الله بها علينا، فهي تعين المسلم على تحمل المشاق والصعاب ومواجهة المشاكل التي تعترض الإنسان في حياته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾[1].

2- المجتمع الذي يحافظ أفراده على الصلاة يدرك أثرها الاخلاقي والتربوي في إشراقة النفوس، وطمأنينة القلوب، وإصلاح الفرد والجماعة، وتدريب أفراد المجتمع على النظام.

3- الفرائض جميعها ومنها الصلاة تهدف إلى علاج الضعف البشري، وتحدد الطريق إلى التسامي، والقوة والتحرر من عبودية الشهوات والأهواء، وتطهر منابع الإثم، وتغلق منافذ الشيطان، والصلاة صلة بالله ودرس قرآني في جو من الطهر والصفاء ودعاء منظم"[2].

4- يصبح المجتمع المسلم مجتمعاً قوياً متماسكاً تسود فيه روابط المحبة وإظهار القوة والوحدة.

4- الاجتماع في الصلاة تكسب الفرد القوة وتذهب الغضائن وتزول الأحقاد وتتألف القلوب، وتتحد الكلمة.

([1]) سورة البقرة، آية 153.

([2]) شديد، محمد، منهج القرآن في التربية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1989م، القاهرة- مصر، ص169-170.

المبحث الثامن

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآثارهما في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

ويندرج تحته مطلبان:

- **المطلب الأول: الوصية السادسة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)**

وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾[1].

تدل هذه الوصية في هذه الآية على أن مجتمع لقمان الحكيم مجتمع مؤمن مسلم، لديه علم بما أمر الله المؤمنين به، فهو معروف لديهم، ولديه علم بما نهى الله عز وجل المؤمنين المسلمين عنه، فهو منكر لديهم، ولقد وصفت هذه الأمة بالخيرية وتميزت بها؛ لأنها تفردت بهذه الخصلة على غيرها من الأمم، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾[2]. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثمرة من ثمار العقيدة، وأصل في صلاح الفرد والمجتمع.

ويظهر أن لقمان أراد أن يجعل ابنه الذي وجه له هذه الوصايا من أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمعه المؤمن المسلم؛ فأوصاه بأن يقوم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي

([1]) سورة لقمان، آية 17.
([2]) سورة آل عمران، آية 110.

عن المنكر داخل مجتمعه، فمنهج الله في رسالاته، وفي تكوين الأمة الربانية الملتزمة بوجه عام وأحكام شريعته، بفعل الواجبات، وترك المحرمات منهج واحد؛ لأنه هو المنهج الأحكم[1].

- **المطلب الثاني: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغة واصطلاحاً.**

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أمور الخير والفضيلة التي يقوم بها المسلم بهدف صلاح الفرد، وصلاح المجتمع ولابد من تعريف كلا المصطلحين المعروف والمنكر.

- المعروف لغة: مأخوذ من مادة (عرف) وتدور هذه المادة حول معنى الظهور والارتفاع وانتشار الرائحة الطيبة[2].
- والمنكر لغة: مأخوذ من مادة (نكر) وهي مادة تدور حول معنى الجهل والصعوبة والاشتداد[3].
- كذلك ذكر ابن منظور تعريف المعروف والمنكر شرعاً فقال: "اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات[4].

والمنكر شرعاً: "وهو ضد المعروف،؛ وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه"[5].

- وفي تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول ابن تيمية، المعروف: اسم لكل ما أمر به الشرع من قول أو فعل أو اعتقاد، ومعنى الأمر بالمعروف: الدعوة إليه، والترغيب فيه، وتمهيد أسبابه، حتى تتوطد أركانه، وتتطرق سبله ويعم الخير به.

([1]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، (11/722-723).
([2]) ابن منظور، لسان العرب، (9/239).
([3]) المصدر السابق، (5/232).
([4]) ابن منظور، لسان العرب، (9/239).
([5]) ابن منظور، لسان العرب، (9/332).

- ومعنى المنكر: الصد عنه، والتنفير منه، ومقاومته،وأخذ السبل عليه، حتى لا يقع أصلاً، أو تتكرر الحاجة إليه[1].
- فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعار الأنبياء والمرسلين الذين نشروا الفضيلة وحاربوا الرذيلة، ودَعَوا إلى الخير والصلاح، ونهوا عن الرذيلة والفساد.

- **المطلب الثالث: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية.**

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعار الأنبياء والمرسلين، ووظيفة المسلم الذي يحب الخير لأخيه المسلم كما يحبه لنفسه، ولقد أثنى الله عز وجل على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في كثير من آي الذكر الحكيم فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[2].

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[3]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ...﴾[4].

وهناك آيات كثيرة تحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن أكتفي بذكر بعضها، علماً أن السنة المطهرة ورد فيها الكثير من الأحاديث التي تحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منها:

([1]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(1)، 1410هـ-1990م، ص99.
([2]) سورة آل عمران، آية 104.
([3]) سورة آل عمران، آية 110.
([4]) سورة الأعراف، آية 157.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: " سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"[1].

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ"[2].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له آثار عظيمة وقيم أخلاقية فضيلة يطبقها المسلم في كل وقت أينما رأى منكراً أو أمراً بمعروف، فإن الخير والبر يسود المجتمع ويضمحل الشر والفساد، ويصف الإمام أبو حامد الغزالي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول: "هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد"[3].

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثمرة من ثمار العقيدة وأصل في صلاح الفرد والمجتمع والإنسانية.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحيي جذوة الإيمان بالله وصفاته، وينبه كوامن النفس لاستنهاض القيم والمثل العليا، والتمسك بالفضائل ومحاسن الأخلاق.
- عندما يطبق المسلم هذه القاعدة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فهو يحمي المجتمع المسلم من كل دخيل عليه، ويمنح الأمة القيم العظيمة والأخلاق الحميدة.

([1]) مسلم، صحيح مسلم، (69/1)، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الآيات، رقم الحديث(49).
([2]) الترمذي، سنن الترمذي، (468/4)، كتاب أبواب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث(2169).
([3]) الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت- لبنان، (269/2).

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يرفع عن الأمة العقوبات العامة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[1].

النجاة من العذاب الدنيوي والآخروي الذي توعد الله به من قعد عن هذا الواجب وأهمله، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾[2].

وهذا ما نشده لقمان الحكيم في ابنه بكل ثقة وإيجابية، علماً أن هذه القاعدة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) جاءت بعد وصيته لابنه بإقامته الصلاة فتلاها هذه القاعدة؛ لأن الصلاة تأمر صاحبها بالمعروف.

([1]) سورة الشورى، آية 30.
([2]) سورة هود، آية 116.

المبحث التاسع

الصبر وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

الصبر من الآداب الرفيعة، والأخلاق القويمة، وصفة من صفات المؤمنين، وسمة من سمات المبشرين بالأجر العظيم من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾[1]، وكلما زاد الصبر في قلب المؤمن زاد إيمانه، وزاد حب الله له.

وهذا المبحث سيتناول وقفة تفسيرية لهذه الوصية القيمة، وبيان حقيقة الصبر وأنواعه، ثم فضل الصبر وآثاره في بناء المجتمع المسلم، وذلك عبر المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: الوصية السابعة (الصبر على ما يصيبه)**

وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾[2].

إذا أنعمنا النظر في وصية لقمان لابنه في الأمر والنهي فإننا نلاحظ أنه جعلها متوسطة بين أمرين آخرين: حيث سبقها الأمر بإقامة الصلاة، وتبعها الأمر بالصبر، وهذا أمر مقصود؛ لأن الصلاة هي الباعث على الأمر والنهي، وإن الصبر هو الشرط لاستمرار القيام به.

يوصي لقمان الحكيم ابنه ويقول له اصبر على ما أصابك من الشدائد والمحن، لا سيما فيما أمرت به من إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واحتياج الآخرين للصبر على ما ذكر ظاهر؛ لأن إتمام الصلاة، والمحافظة عليها، قد يشق، ولذا قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ

([1]) سورة الزمر، آية 10.
([2]) سورة لقمان، آية 17.

بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾[1]، وقال سعيد بن جبير: واصبر على ما أصابك في أمر المعروف والنهي عن المنكر يقول: إذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر وأصابك في ذلك أذى وشدّة فاصبر عليه. (إِنَّ ذَٰلِكَ): استخدم اسم الإشارة للبعد للإشعار ببعد منزلته في الفضل. (مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ) أي مما عزمه الله تعالى وقطعه إيجاب، والعزم بهذا المعنى مما ينسب إلى الله تعالى، ومنه ما ورد من عزمات الله عز وجل، والمراد به هنا المعزوم؛ إطلاقاً للمصدر على المفعول[2].

وقال الإمام البقاعي في تفسير هذه الآية لما كان القابض على دينه في غالب الأزمان كالقابض على الجمر؛ لأنه يخالف المعظم، فيرمونه عن قوس واحدة، لا سيما إن أمرهم ونهاهم، قال تعالى: (وَٱصۡبِرۡ) صبراً عظيماً بحيث يكون مستعلياً (عَلَىٰ مَآ) أي الذي، وحقق بالماضي أنه لا بد من المصيبة ليكون الإنسان على بصيرة، فقال (مَآ أَصَابَكَ) أي في عبادتك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد بدأ هذه الوصية بالصلاة وختمها بالصبر لأنها ملاك الاستعانة[3].

ومجمل قوله تعالى (وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ) استخدام الاستعلاء (على) لأن الأمر يحتاج الصبر العظيم، وعبر بالفعل الماضي ولم يعبر بالمضارع (يصيبك) لتحقيق وقوع المصيبة، وأنه ما من عبدٍ إلا وستصيبه مصيبة.

وجاء التعبير القرآني بقوله تعالى: (إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ)؛ لأن المقام مقام نصح وإرشاد وتوجيه، ولفظ (العزم) يشير دون أدنى لبس إلى القوة والصبر والتحمل، والهمة والارتقاء إلى

([1]) سورة البقرة، آية 45.
([2]) الألوسي، روح المعاني، (88/2).
([3]) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (20/6).

مستوى الحدث والمهمة، والتعبير (بالأمور) الذي هو جمع (الأمر) يشعر بأن هذا يكون في عظائم الأمور وأهوالها وفي أشد النوازل وأصعبها، وجاء حرف الجر (من) التي تفيد البعضية توحي بالارتقاء بالنفس، والتعالي بها صعداً إلى أعلى مراتب الصبر ودرجات التحمل، على معنى أن هذا الصبر من التحمل فعلى النفس التطلع إلى ما هو أعلى وأعلى[1].

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[2].

ولما كان ما أحكم الله له عظيم الجدوى، وجعل ختامه الصبر الذي هو ملاك الأعمال والتروك كلها، نبهه على ذلك بقوله على سبيل التعليل والاستئناف إيماءً إلى التبجيل: (إِنَّ ذَٰلِكَ) أي الأمر العظيم الذي أوصيتك به لا سيما الصبر على المصائب، (مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ): أي معزوماتها[3].

وقال ابن كثير في تفسيره: "اعلم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر"[4].

فالمسلم لا بد له من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يكون واجباً عليه فعل، ذلك، ولا بد للداعي أن يواجه الصعاب والأشواك والأذى من السفهاء، وضعاف العقول والنفوس، فلا بد له من الصبر على ما يصيبه في سبيل دعوته، راضياً بما يلاقيه في سبيل الخير والصلاح للأمة، ولا يزيده هذا الأذى وهذا المكروه إلا إصراراً في دعوته، من أجل الله عز وجل، ويكفيه فخاراً وشرفاً بأن هذا ما كان عليه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد سمّاهم الله عز وجل(أولي العزم من الرسل)؛ لشدة ما لاقوة من شدةٍ وأذىً في سبيل دعوتهم.

([1]) المشني، الإعجاز البياني، ص25.
([2]) سورة البقرة، آية 45.
([3]) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (21/6).
([4]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (446/3).

- **المطلب الثاني: حقيقة الصبر وأنواعه**

الصبر صفة من الصفات الإيمانية العظيمة، ونورٌ وبرهان للمسلم، ولا بد للمسلم أن يتحلى به في جميع مراحل حياته، فما هي حقيقة الصبر، وما هي أنواعه:

قال الراغب الأصفهاني في تعريف الصبر: "الصبر لغة: الإمساك في ضيق، يقال صبرت الدابة: حبستها بلا علف. والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسهما منه"(1).

وعرف ابن منظور الصبر فقال: "الصبر هو حبس النفس عن الجزع، والصبر: الجرأة، ومنه قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾[2] أي ما أجرأهم على أعمال أهل النار"[3].

- ويذكر ابن قيم الجوزية تعريفاً للصبر بقوله: "والصبر هو المنع والحبس، وهو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الثياب ونحوها"[4].
- ويقول ابن قيم الجوزية في حقيقة الصبر: "فهو خلق فاضل من أخلاق النفس، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها" وقيل هو الغني في البلوى بلا ظهور الشكوى[5].
- والصبر صفة من الصفات الإيمانية العظيمة ونور وبرهان للمسلم، به يرى طريقه ليصل إلى الصواب، ويبعده عن الخطأ والزلل والضلال والجزع، والدنيا المليئة بالآمال والآلام من الصحة والمرض والنور والظلام والغنى والفقر والسعادة والشقاء، والمؤمن العابد لربه يصبر

(1) الأصفهاني، المفردات، ص273.
(2) سورة البقرة، آية 175.
(3) لسان العرب، (276/7).
(4) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي أيوب شمس الدين، عدة الصابرين، دار الأفق الجديدة، بيروت، ص15-16.
(5) المرجع السابق نفسه، ص17.

على البلاء؛ لأن الله سبحانه وتعالى يختبر عبده المؤمن، ويمتحنه، فإذا نجح في الامتحان وصبر على البلاء والمصيبة عوضه الله عن صبره خيراً[1].

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: "عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ."[2].

- ومن خلال التعريفات السابقة نستطيع أن نقول إن أنواع الصبر هي:

1- الصبر على الطاعة والعبادة.

2- الصبر على المعاصي والشهوات.

3- الصبر على دعوة الناس إلى تعالى.

4- الصبر على البلاء.

- **المطلب الثالث: فضل الصبر وآثاره في المجتمع المسلم**

والصبر صفة من الصفات الإيمانية العظيمة، به يرى المسلم طريقه ليصل إلى الصواب، ويبعده عن الخطأ والزلل والضلال والجزع، ولا بد للمسلم أن يصبر على ما يصيبه في سبيل دعوته، راضياً بالأذى في سبيل الخير والصلاح للأمة الإسلامية، وهذا ما كان عليه الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه.

هذا وقد أوصى لقمان الحكيم ابنه بالصبر؛ لأن الصبر على المصائب يبقي للفعل نوره، ويبقي للشخص وقاره، وسمة من سمات المبشرين بالأجر العظيم من الله عز وجل، وقد جاءت آيات تبين فضل الصبر، وتبشر الصابرين بالأجر العظيم.

([1]) ابن القيم، عدة الصابرين، ص14.

([2]) مسلم، صحيح مسلم،(2299/4)، كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم الحديث(2999).

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾[3].

وغيرها من الآيات القرآنية التي تحث على الصبر، وتبين ثوابه.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ تحث على الصبر وتبين فضله ومن هذه الآثار: –

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: " إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ[4].
- عنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ" الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ –أَوْ: تَمْلَأُ– مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَك أَوْ عَلَيْك، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا"[5].

أما آثار الصبر على أفراد المجتمع وبخاصة في أخلاقهم وبناء مجتمعهم الإسلامي:

1– فالصبر يقوم بتهذيب النفوس، وأسرها عن الشهوات والملذات بامتثال أوامر الله عز وجل وبمخالفة النفس عن هواها.

([1]) سورة البقرة، آية 55.
([2]) سورة آل عمران، آية 200.
([3]) سورة الشورى، آية 43.
([4]) البخاري، الجامع الصحيح، (122/2)، كتاب الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، رقم الحديث(1469)، وأخرجه مسلم في صحيحه، (729/2)، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، رقم الحديث(1053)، وأبو داود في سننه، (121/2)، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف، رقم الحديث(1644).
([5]) مسلم، صحيح مسلم، (203/1)، كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء، رقم الحديث(223).

2- الصبر على المصيبة يكفر الذنوب، ويرفع الدرجات[1].

3- كلما زاد الصبر عند المسلم يزداد إيمانه، وكلما زاد إيمانه زاد حب الله تعالى للعبد.

4- إذا التزم أفراد المجتمع بالصبر، فيصبح المجتمع المسلم مجتمعاً قوياً مثالياً يتحدى الصعاب، وينتصر على الأعداء ويحقق النصر بإذن الله، لقوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس: "واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا"[2].

5- ولا بد أيضاً لطالب العلم أن يتحلى بالصبر لينال أعلى الدرجات، في الدنيا والآخرة.

6- إذا التزم أفراد المجتمع الصبر، يصبح المجتمع مجتمعاً سليماً يتحدى الصعاب، وينتصر على الأعداء، ويحقق النصر بإذن الله.

اللهم اجعلنا من عبادك الصابرين، ومن عبادك المقبولين.

([1]) ابن القيم، عدة الصابرين، ص68.
([2]) ابن حنبل، مسند الإمام، (19/5)، رقم الحديث (2803)، وقال شعيب الأنؤوط حديث صحيح.

المبحث العاشر

التواضع وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.

ما أجمل التواضع، وما أعظم المتواضعين، الذين يتواضعون في غير ذلة، ويستشعرون عظمة الله في قلوبهم، فقد كان رسول الله ﷺ في قمة التواضع والرحمة، قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾[1]، ولذا فقد أوصى لقمان ابنه بالتواضع، وعدم التكبر والخيلاء على الناس؛ لأن التكبر داء وبيل، وخلق ذميم، يردي بصاحبه في الهاوية.

وهذا المبحث سيتناول وقفة تفسيرية عن هذه الوصية، وبيان حقيقة التصعير والخيلاء، وبيان فضل التواضع، وآثاره في بناء المجتمع المسلم، وذلك وفق المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: الوصية الثامنة (التواضع وعدم التكبر)**

وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾[2].

- لما كان من آفات العبادة لا سيما الأمر والنهي، لتصورهما بصورة الاستعلاء، الإعجاب الداعي إلى الكبر، قال محذراً من ذلك معبراً عن الكبر الذي يلازمه؛ لأن نفي الأعم نفي للأخص، منبهاً على أن المطلوب في الأمر والنهي اللين، لا الفظاظة والغلظة الحاملان على النفور(3).
- **(وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ)**: لا تحتقر الناس، فالنهي عن الإعراض عنهم احتقاراً لهم لا عن خصوص مصاعرة الخد، فيشمل الاحتقار بالقول والشتم وغير ذلك، وهذا تمثيل كنائي.

([1]) سورة الشعراء، آية 215.
([2]) سورة لقمان، آية 18.
([3]) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (20/6).

- (وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ) في حال المرح، فشمل الفخر عليهم بالكلام وغيره، والمرح وشدة الفرح والتوسع فيه(1).
- وقيل المرح: التبختر والاختيال، وقيل المرح: الأشر والبطر(2). ويظهر ذلك في المشي تبختراً واختيالاً، لذلك يسمى ذلك المشي (مرحاً) وموقع (في الأرض) بعد (لا تمش) مع أن المشي لا يكون إلا في الأرض هو الإيماء إلى أن المشي في مكان يمشي فيه الناس كلهم قويّهم وضعيفهم، نفي ذلك موعظة للماشي مرحاً أنه مساوٍ لسائر الناس(3).
- وجاء موقع (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ) تعليلاً للنهي السابق، وتأكيداً له، جاء في غاية المقت والبغض لهذين الصنفين من الناس، فالمختال مقابل للماشي مرحاً وكذلك المصعّر خده[4].
- وظاهرة الاختيال أقبح من ظاهرة تصعير الخد؛ لأنها تدل على خفة في العقل، فالعاقل الرزين، ذو الرأي الرشيد لا يستخفه الكبر في نفسه حتى يمشي في الأرض مختالاً متكبراً متبختراً، ولأن المتكبر إنسان مريض ينفر منه الناس ويكرهونه، ويتضايقون لوجوده، فلا يحبه الله، ولا يحبه الناس ولا يحترمونه، ولا قيمة لحياة الإنسان إذا كان مكروهاً بهذا الفعل الذي فعله، وهو الكبر والاختيال والغرور، والعياذ بالله من ذلك[5].

وحذر لقمان ابنه من عاقبة هذا السلوك بقوله له: (...لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ) أي: ومن لا يحبه الله لقيامه بما نهى الله عنه نهي إلزام، فإنه يعرّض نفسه لعقاب الله عز وجل.

---

(1) الأصفهاني، المفردات، ص465.
(2) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1421هـ-2000م، (341/3).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (167/21).
(4) المشني، الإعجاز البياني،ص27.
(5) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، (725/11-726).

لذلك ينبغي لمن يحمل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن لا يكون مختالاً فخوراً؛ متبختراً في سلوكه، فهذا ينفر الناس منه، فلا يتأثرون بما يأمرهم به، ولا بما ينهاهم عنه؛ إذ يرون سلوكه مخالفاً لما أمر الله به حاملي رسالة الرسول ﷺ، وبما أمر به رسوله ﷺ بقوله ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾[1]، فلا بد أن يتخلق بخلق التواضع والتذلل؛ حتى يحبه الله ويحبه الناس.

- **المطلب الثاني: حقيقة التصعير والخيلاء.**

التكبر داء وبيل، ومرض خطير، وصفة مذمومة، تخفض صاحبها، وتقلل من شأنه، وتحط من قدره، والواجب على المسلم أن يكون متواضعاً، وأن لا يعرض بوجهه عن الناس، ولا يبتعد عنهم، وأن لا ينظر إلى الناس باحتقار، وأن يعامل الناس باحترام وتذلل؛ لأنه من تواضع للناس أحبه الله وأحبه الناس.

وقد وصف الله عز وجل الإعراض بالوجه بالتصعير، فما هو حقيقة التصعير؟

- عرّف الراغب الأصفهاني الصَّعر فقال: "ميلٌ في العنق، والتصعير إمالته عن النظر كِبراً"[2].
- وقال الزمخشري في التصعير: ولا تولهم شق وجهك وصفحته ما يفعل المتكبرون[3]. وصعر: مال عنقه أو وجهه إلى أحد الجانبين، وقد يكون هذا مرضاً، وفلان أعرض بوجهه كبراً ورأسه فهو أصعر[4].

([1]) سورة الحجر، آية 88.
([2]) الأصفهاني، المفردات، ص281.
([3]) الزمخشري، الكشاف، (196/2).
([4]) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصطفى، إبراهيم وآخرون، دار الدعوة، (515/1).

- ويعقب سيد قطب بقوله: التصعير داء يصيب الإبل، يلوي أعناقها، والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر، حركة الكبر والازدراء، وإمالة الخد للناس في تعالٍ واستكبار، فهذا التصرف يدل على الكبر والغرور والتعالي على الناس[1].
- وقد ورد في تفسير ابن كثير (ولا تمش في الأرض مرحا) أي: خيلاء متكبراً جباراً عنيداً، لا تفعل ذلك يبغضك الله[2].

وخلاصة القول الإشارة إلى أن تصعير الخد لا يصدر إلا عن إنسان مريض نفسياً بمرض الكبر، ولا بد له أن يتعالج ليشفى من مرضه.

- وفي هذه الوصية يتابع لقمان نهي ابنه عن ظاهرة أخرى من ظواهر الكبر والعجب بالنفس، وهي ظاهرة الاختيال والتبختر في المشي، و يحثه على التذلل والتواضع.
- وظاهرة الاختيال أقبح من ظاهرة تصعير الخد؛ لأنها تدل على خفة في العقل، فالعاقل الرزين، ذو الرأي السديد لا يستخفه الكبر في نفسه حتى يمشي في الأرض مختالاً متكبراً، ولأن المتكبر إنسان مريض ينفر منه الناس ويكرهونه، فلا يحبه الله، ولا يحبه الناس ولا يحترمونه، ولا قيمة لحياة الإنسان إذا كان مكروهاً بهذا الفعل الذي فعله، وهو الكبر والاختيال والغرور[3].
- والمختال اسم فاعل من اختال بوزن (الافتعال) من فعل (خال) إذا كان ذا خيلاء، والخيلاء: التكبر والازدراء، وصيغة (الافتعال) فيه للمبالغة في الوصف، فوزن المختال (مختل) فلما تحرك حرف العلة وانفتح ما قبله قلب ألفاً، والفخور شديد الفخر[4]، والتبختر مشية من انواع

([1]) قطب، في ظلال القرآن، (2790/5).
([2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (446/3).
([3]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر،(725/11-726).
([4]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (166/21).

المشي أطلق عليه الفعل الذي هو جنس له كقولك هو يجلس القرفصاء[1]. والاختيال هو المرح والتبختر[2].

- ولما كانت غاية ذلك الرياء للناس والفخر عليهم المثمر لبغضتهم الناشئة عن بغضة الله تعالى، علله بقوله مؤكداً؛ لأن كثيراً من الإنس يظن أن إسباغ النعم الدنيوية من محبة الله، (إن الله) أي ان الذي لا يبتغي الكبر إلا له لما له من العظمة المطلقة، (لا يحب كل مختال فخور) أي كل مراءٍ للناس في مشيه تبختراً يرى له فضلاً على الناس فيشمخ بأنفه وفخور بعدد مناقبه، وذلك فعل المصعر؛ لأن ذلك من الكبر الذي تردى له سبحانه وتعالى، فمن نازعه إيّاه قصمه[3].
- ويعقب سيد قطب على الخيلاء بقوله: "وهو التبختر في المشي في تخايل ونفخةٍ وقلة مبالاة بالناس، وهي حركة كريهة يمقتها الله، ويمقتها الخلق، وهي تعبير شعور مريض بالذات يتنفس في مشية الخيلاء"[4].

لذلك نرى لقمان الحكيم هنا ينهى ابنه عن التصعير والغرور، وعن مشية التكبر، ويخبره بأن الله سبحانه وتعالى يحب التواضع ويرفعه ويرضى عنه؛ لأن المسلم يعلم أن العظمة والكبرياء لله وحده، وقد أخبرنا رسولنا الكريم ﷺ أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبَرْ، فعن عن ابن مسعودرضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ"[5].

([1]) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (308/1).
([2]) ابن منظور، لسان العرب(595/2).
([3]) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (21/6).
([4]) قطب، في ظلال القرآن، (2790/5).
([5]) مسلم، صحيح مسلم، (93/1)، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث(91).

- **المطلب الثالث: التواضع وأثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.**

التواضع خلق محمود، وصفة حميدة، تكسب صاحبها محبة الله ومحبة الناس. واحترام الناس له وترفع منزلته عندهم؛ فهو خلق يحبه الله ورسوله ﷺ بخلاف الكبر، الذي يكسب صاحبه احتقار الناس وازدراءهم من التكبر، وهو صفة مذمومة يبغضها الله ورسوله الكريمﷺ.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّه"[1].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "مِنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعْهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِين"[2].

ويقول النبي ﷺ: " وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ "[3].

والمجتمع الذي يتصف أفراده بهذا الخلق الرفيع، هو مجتمع تسوده المحبة والاحترام ونقاء السريرة وصحة الإيمان، ويكون أفراده لبنات صالحة لبناء مجتمع قوي، مثالي يتصف بالوحدة والألفة والرحمة، وهو سمة من سمات معرفة النفس وحدودها، وإمكاناتها، فلا يظلم المتواضع أحداً من أفراد مجتمعه، ولا يتعالى عليهم، ولا يحتقرهم، ويكفيه فخراً أنه يوم القيامة يكون في أعلى عليين، مع النبيين والصديقين.

---

(1) مسلم، صحيح مسلم، (2001/4)، كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، رقم الحديث(2588).

([2]) رواه الإمام أحمد في مسنده، (76/3)، رقم الحديث (11742)، تعليق: شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

([3]) رواه الإمام أحمد في مسنده، (44/1). ومسلم في صحيحه، (2198/4)، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا، رقم الحديث(2865).

المبحث الحادي عشر

غض الصوت وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

إن التربية الحسنة الطيبة هي مسؤولية الوالد، فهو الذي يتتبع ابنه منذ ميلاده، وحتى يبلغ أشده فيؤدبه، ويعلمه الخلال والأخلاق الحسنة الحميدة، التي تعينه على الحياة في المجتمع، وتعينه على توطيد علاقته بربه سبحانه وتعالى، لذلك نرى لقمان الحكيم يتعهد ابنه ويوصيه بكل ما ينفعه في الدنيا والآخرة، وفي هذه الوصية يعظه ويوصيه بالاعتدال في المشي، وغض الصوت.

وهذا المبحث سيتناول وقفة توضيحية عن هذه الوصية، وبيان معنى القصد في المشي، وغض الصوت، وآثار هذه الوصية في بناء المجتمع المسلم وذلك عبر المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: الوصية التاسعة (الاعتدال في المشي، وغض الصوت)**

وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[1].

في هذه الآية يوصي لقمان الحكيم ابنه ويرشده ويربيه على الاعتدال في المشي؛ لأن طريقة مشي المسلم تدل على شخصيته، وتخبر عن حقيقته، وقد ورد في تفسير ابن كثير قوله: "أي امش مشياً مقتصداً، ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً بين بين"[2].

والقصد: استقامة الطريق يقال: "قصدتُ قصده، أي نحوتُ نحوه، وله طرفان إفراط وتفريط، كالجود فإنه بين الإسراف والبخل، والشجاعة فإنها بين التهور والجبن"[3].

([1]) سورة لقمان، آية 19.
([2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (446/3).
([3]) الأصفهاني، المفردات، ص404.

والقصد في المشي: هو التوسط بين الإسراع الذي يدل على الخفة والطيش، وبين الإبطاء الذي يدل على الكسل والضعف وانعدام النشاط للحركة[1].

وكذلك يقول القرطبي: "أي توسط فيه، والقصد ما بين الإسراع والبطء، أي لا يكون دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار"[2].

قال تعالى: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾.

قال ابن كثير في معنى الآية: "لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه"، وعرّف الأصفهاني الغض فقال: "والغض: النقصان من الطرف والصوت، يقال: غضَّ وأغضّ، ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[4]، قوله تعالى: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾[5].

- وأصل الغض من الشيء النقص منه، والمطلوب في الصوت عند المحادثة أن يكون بمقدار ما يُسْمع دون زيادة ولا نقصان؛ فالزيادة رعونة لا تليق بالعقل الحكيم الرشيد، وإن خفضه عن المطلوب للإسماع منافٍ للحكمة(6).
- وللتنفير من رفع الصوت دون الحاجة إليه قال لقمان لابنه: (إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ)، يقول الزمخشري: والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه، فشبه الله تعالى الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهق مبالغة شديدة في الذم والتهجين،

([1]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، (726/11).
([2]) القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، (5153/6).
([3]) سورة النور، آية 30.
([4]) سورة النور، آية 31.
([5]) الأصفهاني، المفردات، ص361.
([6]) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، (726/11-727)

وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب فيه، ودلالة إفراد صوت الحمير ولم يجمع؛ ليس المراد أن يذكر كل واحد من آحاد، هذا الجنس حتى يجمع وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده[1].

- وجاء في هذه العبارة (إنّ أنكر) التوكيد بـ(إنَّ) والجملة الإسمية، واللام المزحلقة؛ والغرض المبالغة في التنفير من رفع الصوت[2].

وهكذا نرى لقمان الحكيم يرشد ابنه ويوصيه بأن يتمثل صفات من تميزوا وصفات عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾[3].

- **المطلب الثاني: غض الصوت وآثاره في أخلاق أفراد المجتمع المسلم وسلوكهم.**

أرشدنا الرسول- عليه الصلاة والسلام- أن نلزم الهوينى، والمشي في هدوءٍ ووقار، حتى ونحن في أسمى مظهر تعبدي وهو الصلاة، فقال عليه الصلاة والسلام: "إِذَا سَمِعْتُمْ الْإِقَامَةَ ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ ، وَلَا تُسْرِعُوا ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ ، فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا" [4].

ومن الآثار الطيبة لغض الصوت ما يأتي:

1- خفض الكلام، والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس وارتقاء بها.

2- فيه اطمئنان إلى صدق الحديث وقوته.

3- غض الصوت وخفض الكلام يتناسب مع الذوق العام والأخلاق السامية.

([1]) الزمخشري، الكشاف، (498/3).
([2]) الميداني، التفكر ودقائق التدبر، (726/11-727).
([3]) سورة الفرقان، آية 63.
([4]) البخاري، الجامع الصحيح، (129/1)، كتاب الآذان، باب: لا يسع إلى الصلاة، رقم الحديث(636).

4- يكسب الشخص الغاض صوته رصانة ومكانة وهيبةً في عيون الناس.

5- يكسب الشخص الغاض لصوته طمأنينة في النفس والابتعاد عن الأمراض النفسية التي تُترجم من قبل بعض الناس برفع الصوت والصراخ.

6- المجتمع الذي يلتزم بالمنهج الإسلامي وهو التوسط والاعتدال، يرتقي بأخلاق أفراده، ويعمل على زيادة الألفة والمحبة بينهم.

7- المجتمع الذي يلتزم بهذه الآداب يصبح مجتمعاً مثالياً في أخلاقه وسلوكه.

8- الامتثال بما أمر الله به من الأخلاق يكون فيه الفلاح في الدنيا والآخرة.

- **المطلب الثالث: خاتمة عامة حول وصايا لقمان**

- لقد وصى لقمان ابنه في أول وصية من وصاياه بأغلى وأعظم وصية وهي التوحيد، وعدم الشرك بالله، فهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه، وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه فضل ما يعرف ولهذا أوصاه بالتوحيد.
- يقول الشيخ السعدي عن وصايا لقمان لابنه: "إنها تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، فكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمراً، وإلى تركها إن كانت نهياً".
- أمره بأصل الدين وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك وبين له الموجب لتركه وأمره الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكرهما، ثم احترز بأن برهما وامتثال أوامرهما ما لم يؤمر بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما، وأمره بمراقبة الله وخوفه القدوم عليه، وإنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة للخير والشر إلا أتى بها، ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع ونهاه عن البطر والأشر والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات ونهاه عن ضد ذلك، وأمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر على

الذين يسهل بهما كل أمر، وهذا من منّة الله سبحانه وتعالى على عباده إن قص عليه من حكمته ما يكون له أسوةٌ حسنة[1].

- وقد مثلت هذه الوصايا ببناء عقيدة التوحيد أولاً، التي هي عين الحكمة، فهي قاعدة الشخصية المتوازنة في أبعادها، الروح، العقل، الجسد، العاطفة، وأصل القواعد الأخلاقية والتربوية.
- ترابط الموضوع وانسجام فقراته المختلفة، ثم مناسبة الحكم لبعضها على اعتبار أنها وحدة متكاملة لبناء شخصية متكاملة، تبين مدى ارتقاء الولد بارتقاء والده به، وأن كل ما يصبو إليه وينشده تراءى في تربية الحكمة وحكمة التربية[2].

([1]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ت(1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن، تحقيق: عبد الرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط(1)، 1420هـ-2000م، (2/354-355).

([2]) المشني، الإعجاز البياني، ص313.

الفصل الثالث

القواعد الأخلاقية من خلال سورة الحجرات

وفيه اثنا عشر مبحثاً:

- المبحث الأول: عدم التقدم بين يدي الله ورسوله، وآثار ذلك في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الثاني: غض الصوت في حضرة النبي ﷺ، وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم..
- المبحث الثالث: التبين من الأخبار وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم..
- المبحث الرابع: الاصلاح بين المؤمنين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم..
- المبحث الخامس: العدل والقسط وآثارهما في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم..
- المبحث السادس: التآخي وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث السابع: السخرية واللمز والتنابز بالألقاب وآثارهما في هدم القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الثامن: اجتناب الظن وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث التاسع: التجسس وآثاره في هدم القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث العاشر: الغيبة وآثارها في هدم القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم
- المبحث الحادي العاشر: التعارف بين الناس وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم.
- المبحث الثاني عشر: القواعد الأخلاقية المشتركة بين كلتا السورتين (لقمان والحجرات)، والقواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة لقمان، والقواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة الحجرات.

تمهيد:

إنّ خير الكلام القرآن الكريم، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وبهما اهتدت الأمة، وهما سبيل النجاة في سائر الأزمان والأحوال؛ لذلك فإني وجدت في سورة الحجرات مدرسة متكاملة في مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال؛ فقد جاءت هذه السورة لتربي الأمة على سمو الأخلاق، وفضائل الأعمال وعلو الهمم.

وتعالج العادات والتقاليد والأعراف السيئة من غِلظة وإشاعة وسخرية وسوء ظن وتجسس وغيبة.

سورة الحجرات مدرسة عقدية وتشريعية وتربوية، فلا عجب أن نرى أخلاق أمة محمدﷺ هي أخلاق القرآن.

وفي هذا الفصل سوف تتناول الباحثة القواعد الأخلاقية في سورة الحجرات، وبيان أثرها في بناء لبنات المجتمع المسلم أو هدمها.

المبحث الأول

عدم التقدم بين يدي الله ورسوله، وآثار ذلك في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

أنزل الله القرآن لنتخلق بأخلاقه، وامتدح نبيّه بالخلق العظيم، وسورة الحجرات من السور المدنية، التي كثر الخطاب فيها للمؤمنين لتحثهم على الأخلاقيات الحسنة وتقضي على أخلاقيات الجاهلية، وهذا المبحث يتناول عدة مطالب ومنها: التفسير والبيان لآيات سورة الحجرات، وذكر ما يدخل في التقدم بين يدي الله ورسوله، ودلالة تعداد النداءات في سورة الحجرات، وآثار عدم التقدم بين يدي الله ورسوله.

- **المطلب الأول: التفسير والبيان**

وذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾[1].

كان في العرب جفاء، وسوء أدب في خطاب النبي ﷺ وتلقيب الناس؛ فجاءت سورة الحجرات بالأمر بمكارم الأخلاق، ورعاية الأدب، وتأمرهم أن لا يقدموا قولاً ولا فعلاً بين يدي الله وقول رسوله وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا، ومن قدّم قوله أو فعله على الرسول ﷺ فقد قدّمه على الله تعالى؛ لأن الرسول ﷺ إنما يأمر عن أمر الله عز وجل[2].

وافتتحت السورة (بالنداء)؛ اهتماماً بهذا الغرض، والإشعار بأنه غرض جدير بالتنبيه عليه.

والتقدم حقيقته: المشي قبل الغير، وفعله المجرد: قدم، قال تعالى: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾[3]، ويقدم قومه يوم القيامة.

([1]) سورة الحجرات، آية 1.
([2]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (352/19).
([3]) سورة هود، آية 92.

وحق (قدم) بالتضعيف أن يصير متعدياً إلى مفعولين، لكن ذلك لم يرد، وإنما يعدّى إلى المفعول الثاني بحرف (على).

ويقال: قدم بمعنى تقدم، كأنه قدم نفسه، فهو مضعف صار غير متعد فمعنى (لاتقدموا) لا تتقدّموا[1].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ هنا النهي للتحذير، وهذا التقدم المنهي عنه هو مكان في حالة هو ما كان الترقب والتمكن من انتظار ما يبرمه الرسول ﷺ بأمر الله، فيومئ إلى أن الأمر في غيبة الرسول ﷺ لا حرج[2].

وسبب نزول هذه الآية ما ذكرته آنفاً([3])، ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن جريح في قصة وفد بني تميم، وخلاف أبي بكر وعمر في تأمير أحد الصحابة–رضوان الله عليهم–، فكانت هذه الآية توطئة للنهي عن رفع الأصوات عند رسول ﷺ، والجهر له بالقول وندائه من وراء الحجرات، وقد جُعلت هذه الآية في صدر السورة مقدمة على توبيخ وفد بني تميم حينما نادوا النبي ﷺ من وراء الحجرات[4].

- ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي لا تقطعوا أمراً وتجزموا به وتجترئوا على ارتكابه قبل أن يحكم الله تعالى ورسوله ﷺ فيه، وحاصلة النهي عن الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة[5].

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (215/26-216).
([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (216/26-217).
([3]) انظر: الفصل الأول، المطلب الثاني (أسباب نزول سورة الحجرات).
([4]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (217/26).
([5]) الألوسي، روح المعاني، (285/13).

- ويعقب الألوسي على الفعل (تقدموا) من الناحية الإعرابية ويقول: (تقدموا) من قدم المتعدي، ومعناه جعل الشيء قادماً أي متقدماً على غيره، وكان يقتضي أن يتعدى إلى مفعولين لكن الأكثر في الاستعمال تعديته إلى الثاني، أو أنه لازم لعدم القصد إلى المفعول نحو قوله تعالى: (هو الذي يحيي ويميت) وقولهم فلان يعطي ويمنع.

وترجح الباحثة أن يكون متعدياً لفعل محذوف، والتقدير: لا تقدموا شيئاً، أي أمراً؛ لأن هذا أبلغ.

وأما التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فإن إطلاق اليدين على ما يجاورهما ويحاذيهما فهو من المجاز المرسل.

ثانياً: فيها استعارة تمثيلية للقطع بالحكم بلا اقتداء ومتابعة لمن يلزم متابعته تصويراً لهجنته وشناعته بصورة المحسوس كتقدم الخادم بين يدي سيده في مسيره[1].

- **المطلب الثاني: دلالة النداءات في سورة الحجرات**

قال الفخر الرازي[2] في هذه السورة إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق وهي: إما مع الله أو مع رسوله ﷺ أو مع غيرهما من أبناء الجنسين، وذكر الله في هذه السورة خمس مرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾وأرشد بعد كل مرة إلى مكرمه من الأقسام الخمسة.

- فقال أولاً: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1]، وهي تشمل طاعة الله تعالى وذكر الرسول ﷺ معه؛ للإشارة إلى أن طاعة الله لا تعلم إلا بقول الرسول ﷺ؛ فهذه طاعة للرسول تابعة لطاعة الله تعالى.

([1]) الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت، (70/8)، وينظر: الألوسي، روح المعاني، (284/13-285).
([2]) الرازي، التفسير الكبير، (97/28).

- وقال ثانياً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[2]؛ لبيان الأدب مع النبي ﷺ لذاته من باب حسن المعاملة.

- وقال ثالثاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[3]، للتنبيه على طريقة سلوك المؤمنين في معاملة من يعرف بالخروج عن طريقتهم وهي طريقة الاحتراز منه؛ لان عمله إفساد في جماعتهم[4]، وأعقبه بآية ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾[5].

- رابعاً: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾[6]، فنهى عمّا يكثر عدم الاحتفاظ فيه من المعاملات اللسانية التي قلّما يقام لها وزن.

- خامساً: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾[7]، ويرينا أن الله ذكر مثالاً من كل صنف من أصناف مكارم الأخلاق بحسب ما اقتضته المناسبة في هذه السورة بعد الابتداء بما نزلت السورة لأجله، ابتدأ ليكون مثال منها دالاً على بقية نوعه، ومرشداً إلى حكم أمثاله دون كلفة و لا سآمة[8].

- ويقول ابن عثيمين (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ) هذا تعميم بعد تخصيص؛ لأن التقدم بين يدي الله ورسوله

([1]) سورة الحجرات، آية 1.
([2]) سورة الحجرات، آية 2.
([3]) سورة الحجرات، آية 6.
([4]) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (97/28).
([5]) سورة الحجرات، آية 9.
([6]) سورة الحجرات، آية 11.
([7]) سورة الحجرات، آية 12.
([8]) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (97/28).

مخالف للتقوى، لكن نص عليه وقدمه لأهميته، ومعنى **(واتقوا الله)** أي اتخذوا وقاية من عذاب الله عز وجل، وهذا لا يتحقق إلا إذا قام الإنسان بفعل الأوامر وترك النواهي، ويعقب بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ كلمة عامة شاملة تشمل كل الشريعة، وقوله (إن الله سميع عليم) هذه الجملة تحذير لنا أن نقع فيما نهانا عنه من التقدم بين يدي الله ورسوله.

- ومعنى(سميع) أي سميع لما تقولون، (عليم) أي عليم بما تقولون وما تفعلون؛ لأن العلم اعم وأشمل؛ إذ أن السمع يتعلق بالمسموعات، والعلم يتعلق بالمعلومات، والله محيط بكل شيء علماً[1].

- **المطلب الثالث: ما يدخل في التقدم بين يدي الله ورسوله**

قال ابن كثير رحمه الله: هذه آيات أدّب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام فقال تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أو قبله، بل كونوا تبعاً له في جمع الأمور حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه [2]؛ إذ قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن، بم تحكم؟ قال بكتاب الله، قال رسول الله ﷺ فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد؟ قال رضي الله عنه أجتهد رأيي، فضرب في صدره ﷺ وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله[3].

([1]) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، تفسير سورة الحجرات، دار الثريا، الرياض، ط(1)، 1425هـ- 2006م، ص11-13.

([2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (366/6).

([3]) الترمذي، سنن الترمذي، (608/3)، كتاب أنواع البيوع، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، رقم الحديث (1327).

فالشاهد من هذا الحديث أن معاذاً أخذ رأيه واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدم اجتهاده ورأيه عليهما لكان ذلك من باب التقدم بين يدي الله ورسوله المنهي عنه.

ومن التقدم بين يدي الله ورسوله أن يقول الإنسان قولاً يحكم به بين عباد الله، وليس من شريعة الله، مثل أن يقول: هذا حلال، وهذا حرام، أو هذا مستحب أو واجب بدون دليل فإن هذا من التقدم بين يدي الله ورسوله[1].

ويدخل في عموم النهي في هذه الآية، سن القوانين والأنظمة، وسائر التشريعات التي تتناقض مع شرع الله وحكمه، فكل ما يصنعه البشر من دساتير وقوانين وأنظمة وتعليمات تخالف أحكام الشريعة الإسلامية فهو تقدم على الله وعلى رسوله؛ لأن الحاكمية لله وحده، وحق التحليل والتحريم له سبحانه.

قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[2]، ويدخل في عموم الآية كل معصية من المعاصي إلا أن هذا التقدم بين يدي الله ورسوله لا يعد كفراً؛ إلا إذا رأى صاحبها أنها حرام واستحلها فهو قدّم بين يدي الله ورسوله[3].

- **المطلب الرابع: آثار عدم التقدم بين يدي الله ورسوله**

نصت الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾[4] على أخلاقيات يجب أن يتخلق بها جميع المؤمنين سواء عاصروا ﷺ أو لم

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات، ص8-11.
(2) سورة يوسف، آية 40.
(3) أبو فارس، محمد عبد القادر، في ظلال الأخلاق في سورة الحجرات، دار عماد، ط(1)، 1412هـ- 1992م، ص21.
(4) سورة الحجرات، آية 1.

يعاصروه، فالأمر ممتد منذ زمن نزول القرآن على قلب رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، لما له من آثار إيجابية لأبناء المجتمع المسلم، ومن هذه الآثار:

- تحقيق الحياة الكريمة في الدنيا لأبناء المجتمع المسلم؛ لأنه قائم على منهاج التوازن والاعتدال.
- تحقيق سعادة الآخرة بنيل رضى الله والفوز بالجنة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾[1].
- شعور المسلم بالطمأنينة والأمن والعزة بتطبيق ما أمر الله به.
- عدم التقدم بين يدي الله ورسوله وتطبيق ما أمر الله به تجعل المجتمع يتمتع بالحرية والكرامة، وتحرره من العبودية لغير الله.
- تطبيق هذا المنهج يربي في نفوس المسلمين الوازع الديني، والضمير المخلص الذي له أكبر الأثر في التزام الصلاح، وإن غابت السلطة التنفيذية[2].

([1]) سورة النور، آية 52.
([2]) قطب، ظلال القرآن، (890/2).

المبحث الثاني

غض الصوت في حضرة النبي ﷺ
وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

لا بد من التخلق بأخلاق الإسلام وآدابه في مخاطبة الرسول ﷺ وهجر ما لا يليق، وفي مقدمة هذه الآداب عدم رفع المتكلم صوته فوق صوت النبي ﷺ، فإن رفع الصوت في حضرة الرسول ﷺ من سوء الأدب وضعف الإيمان، وهذا المبحث يتناول عدة مطالب منها:

التفسير والبيان، وحقيقة غض الصوت وآثاره في المجتمع المسلم، وذكر الأحوال التي يكره فيها رفع الصوت.

- **المطلب الأول: التفسير والبيان**

وذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾[1]، تبدأ الآية بالنداء، وإعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الإيقاظ والتنبيه، والإشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه، أي لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته[2].

- والمنهي عنه رفع الصوت فوق صوته ﷺ، وهذا نهي عن مساواة جهرهم لجهره عليه الصلاة والسلام، فإنه المعتاد في مخاطبة الأقران والنظراء بعضهم لبعض، ويفهم من ذلك وجوب الغض حتى تكون أصواتهم دون صوته ﷺ [3].

([1]) سورة الحجرات، آية 2.
([2]) الألوسي، روح المعاني، (227/12).
([3]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (219/26).

ومعنى (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضاً وخاطبوه بالنبي والرسول، والكلام عليه أبعد عن توهم التكرار لكنه خلاف الظاهر؛ لأن ذكر الجهر عليه لا يظهر له وجه والمعنى: ولا تجعلوا خطابه كخطاب بعضكم بعضاً[1]

- وجاء التركيب القرآني في قوله (ولا ترفعوا) بالرفع: لأنه مستعار لجهر الصوت جهراً متجاوزاً لمعتاد الكلام؛ حيث شبه جهر الصوت بإعلاء الجسم في أنه أشد بلوغاً إلى الأسماع، كما أن إعلاء الجسم أوضح له في الإبصار على سبيل الاستعارة المكنية[2].
- وأما دلالة مجيء الجملة الثانية بعد الأولى في قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أن الجملة الثانية تنهى عن مساواة أصواتهم بصوته، وأما الأولى فتنهى عن الزيادة في الصوت على صوته.
- ومعنى ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ المنتقل من سيء إلى أسوأ لا يشعر بأنه أخذ في التملي من السوء بحكم التعود بالشيء قليلاً قليلاً حتى تغمره المعاصي، وربما كان آخرها الكفر
- ويجوز أن يراد حبوط الأعمال على أنه عام مراد به الخصوص، فيكون المعنى حصول حطيطة في أعمالهم بغلبة عِظم ذنب جهرهم له بالقول، وهذا مجمل لا يعلم مقدار الحبوط إلا الله تعالى، والحبوط تمثيل لعدم الانتفاع بالأعمال الصالحة بسبب ما يطرأ عليها من الكفر هو مأخوذة من حبطت الإبل إذا أكلت الخُضر فنفخ بطونها وتعتل وربما هلكت.

([1]) الألوسي، روح المعاني، (228/13).
([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (219/26).

- وفي قوله تعالى ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾تنبيه إلى مزيد الحذر من هذه المهلكات حتى يصير ذلك دربة حتى يصل إلى ما يحبط الأعمال، وليس عدم الشعور كائناً في إتيان الفعل المنهي عنه؛ لأنه لو كان كذلك لكان صاحبه غير مكلف لامتناع تكليف الغافل[1].
- ويعقب الفخر الرازي في تفسيره في العبارات القرآنية التالية في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ وقوله ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ فهذه قواعد كلية تتحدث عن المنهج التربوي الأخلاقي المنطلق من الإخلاص لله تعالى، ويعتبر الفخر الرازي أن الأولى من عمل القلب، والثانية من عمل الجوارح[2].
- وقال ابن عطية (وأن تحبط) مفعولا لأجله، والحبوط الفساد في العمل بعد تقرره، فإن كانت الآية معرِضة بمن يجهر استخفافاً واحتقاراً وجرأةً، فذلك كفر، والحبوط على حقيقته، وإن كان التعريض للمؤمن الفاضل الذي يفعل ذلك غفلة وجرياً على طبعه، فإنما يحبط عمله البر في توقير النبي ﷺ ويحتمل أن يكون المعنى أن تأثموا، ويكون ذلك سبباً إلى الوحشة في نفوسكم، وظاهر الآية أنها مخاطبة لفضلاء المؤمنين الذين لا يفعلون ذلك احتقاراً وذلك لأنه لا يقال لمنافق يعمل ذلك جرأة وأنت لا تشعر؛ لأنه ليس له عمل يعتقده هو عملاً[3]، وقال ابن كثير: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه، فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري[4].

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (222/26).
([2]) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (113/14).
([3]) ابن عطية، المحرر الوجيز، (145/5).
([4]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (359/2).

- **المطلب الثاني: غض الصوت من أهم الآداب مع الله ورسوله**

وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ صدق الله

وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية، يتبين أن الغض يدور معناه حول الخفض والتجاوز. قال الأصفهاني: الغض النقصان من الطَرْف والصوت وما في الإناء[1]، وقال ابن منظور: وغض طرفه وبصره يغضه غضّاً أي: كفّه وخفضه وكسره[2].

والغض حقيقته: خفض العين، أي لا يحدق بها إلى الشخص وهو هنا مستعار لخفض الصوت والميل به إلى الإسرار.

وأشار ابن تيمية حول معنى (واغضض من صوتك) في سورة لقمان بقوله: فإن الغض في الصوت والبصر جماع ما يدخل إلى القلب ويخرج منه، فبالسمع يدخل القلب، وبالصوت يخرج منه[3].

لقد نهت الآية الكريمة المؤمنين والمؤمنات عند مخاطبة الرسول ﷺ أن يتجاوزا الأدب، فيجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، ولا ينادونه باسمه كما ينادي بعضهم بعضاً، بل ينبغي أن ينادوه بالرسالة والنبوة، ولا يخاطبوه كما يخاطب بعضهم بعضاً من رفع الكلفة، لما يترتب عليه من ضياع الهيبة والإجلال والتوقير[4].

([1]) الأصفهاني، المفردات، ص361.
([2]) ابن منظور، لسان العرب، (117/7).
([3]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد (ت728هـ)، تفسير ابن تيمية، جمع وحققه: إياد بن عبد اللطيف القيسي، دار ابن الجوزي، ط(1)، 1432هـ، (45/6).
([4]) أبو فارس، في ظلال سورة الأخلاق، ص34.

ومعنى قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾[1] أي يخفضون أصواتهم عنده إذا تكلموا إجلالاً له، أو كلموا غيره بين يديه إجلالاً له، قال أبو هريرة، لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾، قال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا أرفع صوتي إلا كآخي السرار[2].

ويعقب ابن عاشور بقوله: وافتتاح الكلام بحرف التأكيد (إنّ) للاهتمام بمضمونه من الثناء عليهم وجزاء عملهم، وتفيد الجملة تعليل النهيين بذكر الجزاء عن ضد المنهي عنهما، وأكد هذا الاهتمام باسم الإشارة في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾لما في اسم الإشارة من التنبيه على أن المشار إليهم جديرون بالخبر المذكور بعده لأجل ما ذكر من الوصف قبل اسم الإشارة.

والامتحان، هو الاختبار والتجربة وهو افتعال من محنَهُ إذا اختبرَه، وصيغة الافتعال للمبالغة واللام في قوله (لِلتَّقۡوَىٰۚ) لام العلة، والتقرير امتحن قلوبهم لأجل التقوى، أي ليكونوا أتقياء، ويجوز أن يجعل الفعل (امتحن) مجازاً مرسلاً عن العلم[3]، أي علم الله أنهم متقون وعليه تكون اللام من قوله (لِلتَّقۡوَىٰۚ) متعلقة بمحذوف هو حال من قلوب، أي كائنة للتقوى، فاللام للاختصاص.

وجملة ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾لغضهم أصواتهم عند رسول الله ﷺ، ولسائر طاعاتهم، وجاءت (مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ) نكرة للتعظيم، ففي وصف أجر بعظيم مبالغة في عظمه؛ فإنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[4].

([1]) سورة الحجرات، آية 3.
([2]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (363/19)، وقد تم تخريج هذا الحديث في المبحث الثالث من الفصل الأول.
([3]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (223/26).
([4]) الألوسي، روح المعاني، (291/13).

- **المطلب الثالث: الأحوال التي يكره فيها رفع الصوت**

بالإضافة إلى ما سبق بيانه من حرمة رفع الصوت بحضرته ﷺ، فقد كره العلماء رفع الصوت عند قبر الرسول ﷺ، وعند قراءة حديثه وسنته، وفي المساجد ومحضرة العالم ومعلوم أن حرمة النبي ﷺ بعد وفاته كحرمته في أيام حياته، وما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره وأصواتهم مرتفعة ارتفاعاً مزعجاً لا يليق وهو من أشد المنكرات، وقد شدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رجلين رفعا أصواتهما في مسجده ﷺ، وقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما[1] ضرباً[2].

وهناك كلام نفيس لابن العربي في ذلك فيقول: حرمة النبي ﷺ ميتاً كحرمته حياً، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به[3].

ولا يدخل في النهي ارتفاع الصوت ولو بحضرة النبي ﷺ إذا كان لحاجة، فقد أمر رسول الله ﷺ عمه العباس عبد المطلب رضي الله عنه أن ينادي بأعلى صوته في غزوة حنين، حينما فوجئ المسلمون وهم في قمم الشعب عند الفجر بهجوم من هوازن، وارتدوا إلى الوراء ورجعوا عن التصدي للأعداء، فنادى العباس بأعلى صوته وكان رجلاً صيتاً وقال: والله لكأنّ عَطْفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، وأقبلوا يقتتلون مع الكفار[4].

([1]) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن عبد القادر (ت1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1415هـ- 1995م، (403/7)، وانظر: أبو حيان، البحر المحيط، (106/8).

([2]) البخاري، الجامع الصحيح، (101/1)، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد، رقم الحديث (470).

([3]) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت543هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الرؤوف المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(1)، (1702/4-1703)، وذكره القرطبي في تفسيره، (362/19).

([4]) مسلم، صحيح مسلم، (1398/3)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، رقم الحديث(1775)، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (362/19)، والبوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، دار الفكر، ط(7)، ص298.

- **المطلب الرابع: غض الصوت وأثره في بناء المجتمع المسلم**

لقد بلغ أصحاب رسول الله ﷺ مراتب رفيعة في الأدب معه ﷺ، وتعظيمه وتوقيره، حتى تعجب الكفار والمشركون من ذلك الأدب[1]، وكان لهذا الخلق أثره العظيم في بناء المجتمع ووحدة المسلمين ومن هذه الآثار:

1- نيل المغفرة والأجر العظيم في الآخرة.

2- التزام الأدب مع رسول الله ﷺ يتبعه التزام الأدب مع العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وولاة الأمور، وإعطاء كل ذي قدرٍ في الإسلام.

3- إذا التزم المسلمون بهذا الخلق أصبحوا قوة واحدة تقف أمام أعدائها بكل عزٍ وافتخار ولا يستطيع أي عدوّ أن يخرق هذا المجتمع المسلم.

4- الالتزام بهذا الخلق ينشر الألفة والمحبة وروح التعاون بين أفراد المجتمع.

5- الالتزام بهذا الخلق يعطي عمقاً تربوياً وأخلاقياً للبشرية قاطبة.

6- تطبيق هذا الخلق دليل على صدق محبة الرسول ﷺ وتوقيره وإجلاله.

7- غض الصوت في حضرة رسول الله ﷺ سعادة للعبد في معاشه ومعاده.

8- غض الصوت في حضرة الرسول ﷺ تملأ القلب نوراً، وهذا النور يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها العبد بين الحق والباطل.

([1]) ورد هذا القول على لسان أبي سفيان. ينظر مسند أحمد (31/ 247). وصحيح ابن حبان (221/11).

المبحث الثالث

التبين من الأخبار، وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

الأصل في المجتمع المسلم أنه مجتمع نظيف وطاهر، يتمتع أفراده بالسمعة الطيبة، ويحترم أفراده بعضهم بعضاً، لذلك نهى الإسلام عن الخوض في أعراض الناس، ونشر الإشاعات الكاذبة التي من شأنها إضعاف المجتمع المسلم ونشر الفرقة والعداوة بين أفراده.

وهذا المبحث يتناول عدة مطالب منها:

التفسير والبيان، وحقيقة التبين، وطرق معرفته، وآثاره الإيجابية على المجتمع المسلم

- **المطلب الأول: التفسير والبيان**

وذلك لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]، هذا هو النداء الثالث في السورة، وإعادة الخطاب بالنداء وفصله بدون عاطف لتخصيص هذا الغرض والاهتمام به، فهذه الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً للمناسبة المتقدمة (قدوم وفد بني تميم)، وهذا النداء شامل للنبي ﷺ وللمؤمنين، فهذا النداء ابتدئ به غرض جديد وهو من آداب جماعات المؤمنين بعضهم مع بعض[2].

وقد تظاهرت الروايات عند المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط عندما بعثه الرسول ﷺ لقبض صدقاتهم وخشي على نفسه القتل فولى إلى المدينة راجعاً، وأما سبب نزول هذه الآية، فقد ذكرته آنفاً([3]).

وأما لفظ (فاسق) فهو مأخوذ من الفعل (فسق) خرج عن حجْر الشرع، وذلك من قولهم فسق الرُّطب إذا خرج عن قشره، وهو أعم من الكفر؛ لأن الفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير

([1]) سورة الحجرات، آية 6.
([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (26/228-229).
([3]) انظر: الفصل الأول، المطلب الثاني(أسباب نزول سورة الحجرات).

وأكثر ما يقال (الفاسق) لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به ثم أخلّ بجميع أحكامه، أو بعضه، وإذا قيل للكافر فاسق، فلأنه أخلّ بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة[1].

وقيل (الفِسق) فعل ما حرمه الشرع من الكبائر وفسّر هنا بالكذب[2]، والفاسق: الكذّاب، وهو المعلن بالذنب[3].

وقال ابن عثيمين: الفاسق من انحرف في دينه وعقيدته ومروءته وضده العدل، وهو من استقام في دينه ومروءته، و الفاسق منحرف في عقيدته، مصر على المعاصي وتارك للواجبات، لكنه لم يصل إلى حد الكفر، أو منحرف في مروءته يمشي بين الناس مشية الهوجاء، ويتحدث برفع الصوت، ويطوف في الأسواق وما أشبه ذلك[4].

وترى الباحثة أنّ الفاسق هو الذي يرتكب الذنوب والمعاصي، وقد يترك بعض الواجبات ولكنه لا يصل إلى حد الكفر، وهو الخروج من الملّة.

وقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ النبأ هو الخبر ذو فائدة عظيمة يحصل بها علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرّى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى، وخبر النبي ﷺ [5].

ودلالة استخدام حرف الشرط (إن) الأصل فيه أن يكون للشرط المشكوك في وقوعه، للتنبيه على أن شأن فعل الشرط أن يكون نادر الوقوع لا يُقدِمُ عليه المسلمون، ودلالة تنكير (فاسق، نبأ)، للتعميم، دلالة على العموم في الفساق وفي الأنباء، ويكون المعنى: أي فاسق جاءكم بأي نبأ (فتبينوا) أي توقفوا، واطلبوا بيان الأمر وكشف الحقيقة، ولا تعتمدوا قول الفاسقين،

([1]) الأصفهاني، المفردات، ص381، وانظر الألوسي، روح المعاني (297/13).
([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (229/26).
([3]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (368/19).
([4]) ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات، ص23.
([5]) الأصفهاني، المفردات، ص481، الألوسي، روح المعاني، (297/13).

والفاء عطف تشريع على تشريع وليس مضمونها تكملة لمضمون (إن جاءكم فاسق) بل هي جملة مستقلة[1].

والآية تطلب من المؤمنين التبيّن؛ وهو طلب الحقيقة والإحاطة بها علماً، فإن قامت قرائن وأدلة تدل على صدقه، قُبل منه وإلا فرُد خبره[2].

وهناك مسائل فقهية كثيرة تتعلق بالفاسق وحكمه في أمور العقيدة كالإمامة والرسالة والعدالة، لا يتسع المقام لذكرها، وتُطلب في مظانها.

وجملة ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾ منصوبة على المفعول لأجله، والمعلل باللام المحذوفة أو المقدرة هو التثبت، وهذا تحذير من جراء قبول خبر الكاذب يدل على تحذير من يخطر له اختلاق خبرهما مما يترتب على خبره الكاذب من إصابة الناس.

والجهالة هنا ضد العلم، والباء للملابسة وهو ظرف مستقر في موضع الحال؛ أي متلبسين بعدم العلم الواقع لتصديقكم الكذب[3].

(فَتُصْبِحُواْ) فتصيروا، والندم: والأسف على فعل صدر، والمراد هنا الندم الديني، أي الندم على التورط في الذنب للتساهل وترك تطلب وجوه الحق.

ودلالة تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ للاهتمام بذلك الفعل، وهو الإصابة بدون تثبت والتنبه على خطر أمره.

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (229/26).
([2]) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت، ط(1)، 1418هـ، (134/5)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (231/26).
([3]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (232/26).

وفي قوله تعالى: ﴿فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ تحذيرٌ من الوقوع فيما يوجب الندم شرعاً، أي ما يوجب التوبة من تلك الإصابة، فهذا كناية عن الإثم في تلك الإصابة، وتحذير لولاة الأمور ان يصيبوا أحداً بِضُر أو عقاب أوحد دون تبين وتحقق بوجه اليقين أو غلبة الظن، وما دون ذلك فهو تقصير يؤاخذون عليه[1].

وقد أمرنا الله عز وجل بالتبين فقال (فتبينوا) ولم يقل (فردوه) ولم يقل (فاقبلوه). وقد قرأ حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا) بثاء مثلثه، والباقون بتاء مفتوحة(فتبينوا)[2]. والحكمة من ذلك أن المسلم إذا تسرع ولم يتثبت فقد يعتدي على غيره، ولتعطل أكثر الحقوق، وبطل كثير من الأخبار الصحيحة[3].

- **المطلب الثاني: حقيقة التبين وطرق معرفته**

معنى التبيّن يدور حول الوضوح، وحصول والعلم، وفقد عرّفه الكفوي: بأنه علم يحصل بعد الالتباس[4].

ويتبين مما سبق أن الأمر قد جاء صريحاً بوجوب التثبت والتبين في الأخبار عن رواية الفاسق لها، وأما طرق معرفته، فيتحقق معرفة التبين بعدّة أمور أهمها:

1- الدقة والتحري من خلال حسن الاستماع، ثم حسن الأداء، وهذا ما قام عليه علم الحديث؛ إذ امتاز علماؤنا بهذه الميزة على سائر الأمم، ورسولنا الكريم ﷺ من خلال تربيته لأصحابه وللمجتمع المسلم كان حريصاً على الدقة في السماع والأداء، وقد قال

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (232/26-234).
(2) ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد (ت 833هـ)، النشر في القراءات العشر (2/ 251)، تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
(3) ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات، ص34.
(4) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت1094هـ)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (82/1).

ﷺ:«نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[1].

2- وتبدو أهمية التحري بإصابة الهدف مباشرة، والبعد عن الاحتمالات والظنون وما يعرضه القرآن لمواجهة الأمور خطوتان؛ كما يقول سيد قطب: خطوة الدليل الباطني الوجداني، وخطوة الدليل الظاهري، فالدليل الباطني يقوم على حسن الظن بالمسلمين والثقة فيهم، والدليل الظاهري يقوم على الأدلة المشهورة والشهود[2].

رد الأخبار إلى أولي الأمر للتمحيص والتثبت من الأمر وذلك بقوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[3].

لذلك فإن طاعة الله بالتبيّن والتثبت في الأخبار مما يعود بالخير والأمن على الفرد والمجتمع المسلم، وعدم التبين له عواقب مرضية على الفرد والمجتمع ومنها:

1) الندم والخسارة نتيجة عدم التبين لقوله تعالى: ﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾صدق الله

2) اتهام الآخرين ظلماً وزوراً لقوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾[4].

- **المطلب الثالث: آثار التبين الإيجابية التي تعود بالخير على الفرد والمجتمع**

أمرنا الله عز وجل الأخذ بمبدأ التمحيص والتثبت قبل قبول أي حكم وإصداره لما في ذلك من ثمرات طيبة تعود بالنفع على المجتمع المسلم ومنها:

---

[1]- أبو داود، سنن أبي داود، (322/3)، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم الحديث (3660)، وأخرجه الترمذي في سننه (23/5)، كتاب أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم الحديث (2656).

([2]) قطب، في ظلال القرآن، (2502/4).

([3]) سورة النساء، آية 59.

([4]) ابن عثيمين، سورة الحجرات، ص34.

1- استقامة ولاة الأمور، ونشر العدل بين أفراد المجتمع.

2- الأخذ بهذا المبدأ هو الأصل في الجماعة المؤمنة لحفظ المجتمع المسلم، وتنظيم أموره وفق ما أمر الله به.

3- الأخذ بهذا المبدأ وتطبيقه يجعل المسلم يميز الحق من الباطل، والإيمان من الكفر، والهدى من الضلال.

4- حفظ الأرواح وصيانة الدماء.

5- تطبيق هذا المبدأ يقوي البناء الاجتماعي للمجتمع المسلم ويكسبه الثقة([1]).

6- صيانة للمجتمعات والأفراد من كل شرٍّ وفسادٍ.

7- البعد عن الشك وهواجس الشيطان.

8- شعور أبناء المجتمع المسلم بالأمن والطمأنينة والاستقرار النفسي.

9- يحفظ حقوق الأفراد والجماعات، ولا يجعلها عرضة للظن([2]).

10- يجعل أبناء المجتمع قوة واحدة متماسكة يربطها الألفة وحسن الظن بعضهم ببعض.

11- الأخذ بهذا المبدأ يجعل المجتمع المسلم مجتمعاً مرضياً برضى الله عز وجل وتسوده البركة والخير وذلك بتطبيق ما أمر الله عز وجل به.

(1) حميد، صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، دار الوسيلة، جدّة، (908/3).
([2]) حميد، نضرة النعيم، (908/3).

المبحث الرابع

الإصلاح بين المؤمنين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

الأصل في علاقة المسلمين بعضهم ببعض أن تقوم على المودة والتفاهم والتراحم، وهذا لا يعني أنهم معصومون من الوقوع في الاختلاف والخطأ والمخالفات الشرعية؛ فكلُّ ابنِ آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون.

وهذا المبحث يتناول عدة مطالب منها: التفسير والبيان، ومراحل العلاج عند وقوع القتال، ومعنى البغي وآثاره، واتباع منهج الإصلاح وآثاره في المجتمع المسلم.

- **المطلب الأول: التفسير والبيان**

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾[1] والطائفة: الجماعة من الناس[2]، وقيل الطائفة تتناول الرجل الواحد والجمع والاثنين فهو مما حمل على المعنى دون اللفظ لا عن الطائفين في بعض القوم والناس، وإذا تأملنا الآية القرآنية ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ وجدنا أنها تفيد وقوع القتال إن حصل فهو نادر جداً؛ وذلك من خلال التعبير بحرف الشرط (إن)، وهذا الحرف يفيد أن فعل الشرط بعده قليل الحصول؛ فهو للقلة والندرة وندرة المتشاجرين والمتقاتلين([3])؛ وذلك لأن كلمة طائفة في القرآن تستخدم في معنى أنها أقل من الفرقة[4] لقوله

([1]) سورة الحجرات، الآيتان (9،10).
([2]) الأصفهاني، المفردات، ص311، كتاب الطاء، انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (375/19).
([3]) أبو فارس، في ظلال سورة الأخلاق، ص65.
([4]) أبو فارس، في ظلال سورة الأخلاق، ص66.

تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

ومما يدل أيضاً على ندرة وقوع القتال بين المؤمنين، واستبعاده قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ولم يأت التعبير القرآني (وإن اقتتل طائفتان من المؤمنين) مع أن كلمة (إن) اتصالها بالفعل أولى، وذلك ليكون الابتداء بما يمنع من القتال، فيتأكد معنى الفكرة المدلول عليها بحرف الشرط (إن)، وذلك لأن كونهم طائفتين مؤمنتين يقتضي ألا يقع القتال بينهما[2].

والإصلاح: مصدر أصلح يصلح وهو مأخوذ من مادة (ص ل ح) التي تدل على خلاف الفساد، وقال ابن منظور: الإصلاح نقيض الفساد، وأصلح الشيء بعد فساده، أقامه، واصطلاحاً: عقد يرفع النزاع، وهو بمعنى المصالحة، وهو المسالمة خلاف المخاصمة، وأصله من الصلاح ضد الفساد، ومعناه دال على حسنه الذاتي، وكم فساد انقلب به إلى الإصلاح حسنه[3].

ومن الملاحظ في الآية الكريمة مجيء كلمة (طائفتان) بالتثنية ومجيء الفعل (اقتتلوا) بالجمع، ويجيب الألوسي عن هذا بقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ أي تقاتلوا والعدول إلى ضمير الجمع لرعاية المعنى فإن كل طائفة من الطائفتين جماعة، فقد روعي في الطائفتين معناهما أولاً، ولفظهما ثانياً، على عكس المشهور[4].

([1]) سورة التوبة، آية 122.
([2]) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (127/28).
([3]) ابن فارس، مقاييس اللغة، (303/3)، ابن منظور، لسان العرب، (97/6)، الجرجاني، التعريفات، ص134.
([4]) الألوسي، روح المعاني، (301/13).

وقيل أيضاً إنهم في حال القتال مختلطون، فلذا جمع أولاً ضميرهم وفي حال الصلح متميزون متفارقون لذا ثنّي الضمير[1].

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ﴾ أي تعدّت وطلبت العلو بغير حق فقاتلوا الفئة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله تعالى، وسأبين معنى البغي وحقيقته وآثاره في المطلب التالي.

وقد قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل منكم، مع أن الخطاب مع المؤمنين سبق لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾؛ تنبيهاً على قبح ذلك وتبعيداً لهم عنهم، وذلك ببيان أن مثل هذا الأمر لا ينبغي أن يصدر عمن اتصف بصفة الإيمان.

وأما دلالة التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾؛ لأن الإصلاح بالعدل كان فيه تخصيص بحال دون حال، فعمّ الأمر بقوله (وَأَقْسِطُوا) في كل أمر مفض إلى أشرف درجة، وأرفع منزلة؛ وهي محبة الله.

والإقساط إزالة القسط وهو الجور، والقاسط هو الجائر، والتركيب دال على كون الأمر غير مرضي من القسط والقاسط في القلب[2].

ومما يلاحظ في الآية الكريمة اقتران العدل بالإصلاح الثاني دون الأول، ويعلل الزمخشري ذلك بقوله: لأن المراد بالاقتتال من أول الآية أن يقتتلا باغيتين معاً أو راكبتي شبهة فيجب على المسلمين إصلاح ذات البين ونفي الشبهة[3]، إلا إذا أصرتا فحينئذٍ تجب المقاتلة وأما الضمان فلا يتجه خلافاً لأبي حنيفة فيجب، وليس كذلك إذا بغت إحداهما فإن الضمان متجه

([1]) الألوسي، روح المعاني، (301/13).
([2]) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (106/28).
([3]) الزمخشري، الكشاف، (239/4).

على الوجهين المذكورين وأقسطوا أُمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في إصلاح ذات البين[1].

وأما سبب نزول هذه الآية ما ذكرته سالفاً[2] وإن كانت الآية تدل على ندرة وقوع القتال بين المؤمنين وأن الآية لم تترك الأمر بدون علاج، بل بادرت بعلاج الأمر على ندرته إن حصل، وذلك بأن أمرت المؤمنين أن يصلحوا بينهم المتقاتلين قال تعالى(فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا).

والأمر هنا واجب شرعي على الأمة أن تقوم به؛ أو هو خطاب للمؤمنين بصيغة الأمر، والأمر يدل على الوجوب ما لم ترد قرينة تصرفه إلى غير ذلك[3].

- **المطلب الثاني: مراحل العلاج عند وقوع القتال**

ذكرت الآية الكريمة المراحل التالية للعلاج[4]:

- المرحلة الأولى: مرحلة الإصلاح بفض القتال، وإيقافه، وذلك عن طريق الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، وتذكير الطائفتين بالله عز وجل وتخويفهم من عذابه، وترغيبهم في ثوابه، وتحذيرهم مما يترتب عليه القتال من مفاسد عظيمة من الدين والدنيا، وتذكيرهم بأخوة الإسلام، وحرمة دم المسلم وعرضه وماله، وأنه أعظم من حرمة الكعبة، ويكون ذلك بذكر الحجج والبراهين، والشواهد والأدلة والقول البليغ في النفس.
- المرحلة الثانية: قتال الفئة الباغية، فإن أصرت إحدى الطائفتين على الاستمرار في القتال على الرغم من الحوار والحجج والأدلة، واستجابت الفئة الأخرى لنداء الإيمان والعقل

([1]) الزمخشري، الكشاف، (365/4).
([2]) انظر: الفصل الأول، المطلب الثاني، أسباب نزول سورة الحجرات.
([3]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (239/26).
([4]) أبو فارس، في ظلال سورة الأخلاق، ص68-69.

والمنطق، فوجب على المسلمين بقيادة إمامهم أن يتدخلوا فوراً لإيقاف القتال بالقوة، وذلك بقتال الطائفة الباغية حتى ترضخ للأمة وترضى بالحق الذي يُقرر.

وقتال هذه الفئة يبرره أمران[1]:

الأول: أنها باغية ظالمة لم تستجب لدعوة الإصلاح.

الثاني: تمردت على أمر القيادة المسلمة الآمرة لها بالتوقف عن القتال.

- المرحلة الثالثة: الإصلاح بالعدل بعد الرجوع إلى الحق ووقف القتال، والأصل أن يتوقف القتال على أساس تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في تقرير الحقوق وفض النزاع[2]، وسأقف عند هذه المرحلة ولا أريد التفصيل بها؛ لأن هذه المرحلة ستطرح بالتفصيل في المبحث الخامس.

وترى الباحثة أن من واجب المسلمين قتال الفئة الباغية؛ لأن في قتالهم نصرةً لإحقاق الحق وإبطال الباطل وطاعة لأمر الله تعالى، ولو تخلف المسلمون عن ذلك لما أقيم حقٌّ ولا أبطل باطلٌ، وسيجد أهل النفاق والفجور سبباً إلى استحلال كل ما حرّم الله عليهم من أحوال المسلمين وسفك دمائهم، وسبي نسائهم، وحرمانهم من أدنى حقوقهم وحرياتهم التي منحهم الله إيّاها.

(1) أبو فارس، في ظلال سورة الأخلاق، ص69.
(2) المرجع السابق نفسه، ص69.

- **المطلب الثالث: معنى البغي وآثاره**

البغي ظاهرة سلبية، وصورة مظلمة، وهو من أشد أنواع الظلم، فلا يستطيع المجتمع المسلم بوجوده الانطلاق لنشر الدعوة وتعاليم الإسلام، فلا بد من الوقوف على تعريف البغي وآثاره على أبناء الأمة الإسلامية.

وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية يتبين أن معنى البغي يدور حول الاعتداء والتجاوز وأخذ الحق، وعرّفه الأصفهاني بطلب التجاوز، ويقال بَغيت الشيء إذا طلبت أكثر مما يجب، والبغي يدور حول الاعتداء، والبغي: التعدّي، وبغي الشيء طلبه[1].

ومجمل القول أن البغي هو طلب أمر ليس لك به حق؛ بهدف الاستعلاء واللجوج في الفساد، وفيه اعتداء على الآخرين، وهذا خلق مذموم، ومرفوض لا يقبله الله ولا رسوله ولا عباده الصالحون.

وأما آثاره السلبية على أبناء المجتمع المسلم فهي كبيرة، وأضراره خطيرة، منها:

- الاقتتال الداخلي، وما يترتب على هذا الاقتتال من فرقة المسلمين إلى أحزاب وشيع، فتضعف شوكتهم، ويذهب ريحهم، قال تعالى ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[2]. ويقول الله عز وجل: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ﴾[3].

([1]) الأصفهاني، المفردات، ص55، كتاب الباء، الرازي، مختار الصحاح، ص59.
([2]) سورة الأنفال، آية 46.
([3]) سورة الأنعام، آية 65.

- ويقول ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ لاَ حَالِقَةَ الشَّعْرِ. وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»[1].

إذن فالبغي من الأمراض الخبيثة والأخلاق الذميمة التي قد تحصل في المجتمع المسلم ولا بد من علاج هذا المرض، واتباع منهج الإصلاح الذي حث عليه الكتاب والسنة.

- **المطلب الرابع: اتباع منهج الإصلاح، وآثاره في المجتمع المسلم**

اتبّاع المؤمنون إخوة ويجب أن يصلح ما طرأ بينهم وبسرعة؛ حتى تعم الرحمة بين أبناء المجتمع، ولقد شجع الإسلام على الإصلاح، ورخص للمسلم أن يكذب للإصلاح بين الناس، ولم يعتبر الإسلام هذا الكذب مذموماً، بل مدحه، ورغب فيه، فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط-رضي الله عنها- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمي خَيْراً أَوْ يَقُولُ خَيْراً»[2].

لذلك حث الإسلام على الإصلاح؛ لما له من آثار عظيمة على المجتمع المسلم، ومنها[3]:

1- نشر المحبة والألفة بين قلوب المسلمين، وإزالة أسباب الشحناء والبغضاء، وذلك بالإصلاح والتصفية المستمرة، وتنقية الأجواء وإزالة أسباب الاختلاف.

2- نشر السلام والتعاون والوحدة التي هي الأصل في الجماعة المسلمة.

3- استجاشة قلوب المؤمنين، وتوثيق أواصر الألفة والتعاون والرحمة بينهم.

([1]) الترمذي، سنن الترمذي، (664/4)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب إصلاح ذات البين، رقم الحديث(2130)، قال عنه الترمذي صحيح وعلق الألباني في السلسلة الصحيحة وقال عنه حسن.

([2]) البخاري، الجامع الصحيح، (183/3)، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، رقم الحديث(2692)، مسلم، صحيح مسلم، (9511/4)، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكذب، رقم الحديث(2605).

([3]) حميد، نضرة النعيم، (2613/6).

4- اتباع منهج الإصلاح يقضي على جذور الفتنة وتحقن دماء المسلمين.

5- صيانة المجتمع المسلم من التفكك والضياع وشماتة الأعداء.

6- اتباع منهج الإصلاح يبقي المجتمع المسلم مجتمعاً قوياً بوحدته وهيبته أمام أعدائه.

7- نيل الأجر العظيم والدرجات العلى في الجنة لقوله عليه الصلاة والسلام: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ, وَالصَّلاةِ, وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ, فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»[1].

8- الإصلاح بين المؤمنين واجب لتستقيم حياة المجتمع المسلم ويتجه نحو العمل المثمر.

9- بالإصلاح تحل الصلة محل القطيعة، والمحبة محل الكراهية، لذا يستباح الكذب في سبيل تحقيقه[2].

([1]) الترمذي، سنن الترمذي، (663/4)، كتاب جنة القيامة والرقائق والورع عن الرسولﷺ باب إصلاح ذات البين، رقم الحديث(2509).

([2]) حميد، نضرة النعيم، (2613/6).

المبحث الخامس

العدل والقسط وآثارهما في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

أمرنا الله عز وجل عند الاختلاف بطاعة الله وبطاعة رسوله، والرجوع إلى أولي الأمر وطاعتهم، ولكن إذا تمكن الفاسق من نشر الفساد والفتنة بين طائفتين من المسلمين، فمن واجب المسلم أن يسعى إلى إنقاذ إخوانه، والإصلاح بينهم بالعدل والإحسان، وهذا المبحث يتناول عدة مطالب منها:

التفسير والبيان، وحقيقة العدل والقسط والفرق بينهما، وآثارهما على أفراد المجتمع المسلم

- **المطلب الأول: التفسير والبيان**

وذلك لقوله تعالى: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾. وفي هذه الآية يأمر الله عز وجل المسلمين بالإصلاح بالعدل، والباء هنا للملابسة، أي: أصحلوا بينهما صلحاً متلبساً بالعدل، والعدل هو ما يقع التصالح عليه بالتراضي والإنصاف، وأن لا يضر بإحدى الطائفتين؛ فإن المتالف التي تلحق بكلتا الطائفتين تتفاوت تفاوتاً شديداً، فيجب مراعاة التعديل.

وقيد الإصلاح المأمور به ثانياً بقيد أن تفيء الباغية بقيد (العدل) ولم يقيد الإصلاح المأمور به، وهذا القيد يقيد به الإصلاح المأمور به أولاً؛ لأن القيد من شأنه أن يعود إليه لاتحاد سبب المطلق والمقيد، أي يجب العدل في صورة الإصلاح، فلا يضيعوا بصورة الصلح منافعَ عن كلا الفريقين، إلا بقدر ما تقتضيه حقيقة الصلح من نزول عن بعض الحق بالمعروف[1].

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (252/26).

ثم أمر المسلمين بالعدل بقوله ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ أمراً عاماً تذييلاً للأمر بالعدل الخاص في الصلح بين الفريقين؛ لأن الفئة التي خضعت للقوة وألقت السلاح تكون مكسورة الخاطر شاعرة بانتصار الفئة الأخرى عليها، فأوجب على المسلمين أن يصلحوا بينهما بترغيبهما في إزالة الإحن والرجوع إلى أخوة الإسلام، لئلا يعود التناكر[1].

وقيل ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ يفصل ما بينهما على حكم الله تعالى، وتقييد الإصلاح هنا بالعدل لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة، وقد أكد ذلك بقوله ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ أي اعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون.

وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ جملة تعليلة للأمر المذكور قبلها، وفيها ترغيب في إقامة العدل والقسط على أكمل وجه؛ ببيان أن من يفعل ذلك فقد استوجب محبة الله تعالى، التي هي من أسمى الغايات وأشرفها، ومعناها اعدلوا في حكمكم إن الله يحب أهل العدل[2].

- **المطلب الثاني: حقيقة العدل والفرق بينهما**

العدالة في اللغة: الاستقامة في الشريعة الاستقامة على طريق الحق باجتناب ما هو محظور. والعدل: هو الاعتدال والاستقامة والميل إلى الحق[3].

والعدل يدرك بالحواس كالموزونات والمعدودات والمكيلات.

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (242/26).
([2]) الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى، أيسر التفاسير، المدينة المنورة، ط(5)، 1424هـ- 2003م، (127/5).
([3]) الجرجاني، التعريفات، ص237.

وأما القسط فهو النصيب بالعدل، كالنِّصْف والنَّصَفَة، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِۚ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾[2].

والقِسط هو أن يأخذ قسط غيره، وذلك جور، والإقساط: أن يعطي قسط غيره وذلك إنصاف، والقسطاس: الميزان[3].

وقيل الهمزة في (أقسط) للسلب أي أزال القسط، ويرجحه قوله تعالى (ذلكم أقسط عند الله)؛ لأن أفعل في أبنية المبالغة لا تكون في المشهور إلا من الثلاثي، وتقسطوا تأتي بمعنى تجوروا، وقَسَط جار وظلم.

والفرق بين القسط والعدل هو أنّ القسط العدل الظاهر، ومنه سمي المكيال قسطاً، والميزان قسطاً؛ لأنه يصور لك العدل في الوزن؛ حيث تراه ظاهراً، وقد يكون العدل ما يخفى، ولهذا فالقسط هو النصيب الذي بينت وجوهه[4].

ولفظ (عَدْل) يعرف كونه عدلاً بالشرع، ويمكن أن يكون منسوخاً في بعض الأزمنة كالقصاص وأوروش الجنايات[5].

والقسط(بالفتح): الجور من القسط، وعود قاسط: أي يابس، وأما القسط بمعنى العدل، فالفعل منه أقسط، وقيل همزته للسلب: أي أزال القسط وهو الجور[6].

([1]) سورة يونس، آية (4).
([2]) سورة الرحمن، آية (9).
([3]) الأصفهاني، المفردات، ص403.
([4]) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص428، وانظر ابن حجر العسقلاني، أبي الفضل أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة مصر، ط(1)، 1421هـ- 2001م، (124/8).
([5]) أروش: جمع أرش، وأرش الجنآية، ديتها، ابن فارس، مقاييس اللغة، (79/1)، الأصفهاني، المفردات، ص325.
([6]) الزمخشري، الكشاف، (360/4).

- **المطلب الثالث: آثار تحقيق العدل والقسط بين المسلمين**

أمرنا الله عز وجل بالعدل والإحسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[1]؛ لما فيه من آثارٍ طيبة وعظيمة تعود على الفرد والمجتمع المسلم، ومن هذه الآثار[2]:

1- تحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع المسلم والشعور بالعزة.

2- رضا الله عز وجل وحبه للمسلمين.

3- الأمن لصاحبه في الدنيا والآخرة.

4- يسد مسد كثير من اعمال البر والطاعة.

5- سلامة الخلق من الشر.

6- طهارة القلوب وصفاؤها من البغض والحقد والحسد.

7- طريق موصل إلى الجنة.

8- الشعور بالمساواة ليطمئن كل فرد إلى عدالة الحكم، وأن السياسة التي تقوم على ذلك سياسة عادلة لا تفرق بين الناس تبعاً لأعراقهم ووضعهم الاجتماعي.

([1]) سورة النحل، آية 90.
([2]) حميد، نضرة النعيم ، (2818/7).

المبحث السادس

التآخي، وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم

للإخوة الإيمانية مكانةٌ ساميةٌ، ودرجةٌ عاليةٌ رفيعةٌ، لا تساميها مكانة ولا تقاربها رابطة من الروابط، ولقد برزت هذه المكانة من خلال آيات سورة الحجرات بما عرضته من آداب عامة، وأخلاقٍ سامية يتخلق بها أفراد المجتمع، وهذا المبحث يتناول عدة مطالب منها:

التفسير والبيان، حقيقة الإخاء ودوافعه، وبيان مكانة الأخوة الإيمانية وآثارها في بناء المجتمع المسلم.

- **المطلب الأول: التفسير والبيان** لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

يقول القرطبي: إخوة في الدين والحُرمة لا في النسب، ولهذا قيل أُخوة الدين أثبت من أخوة النسب؛ فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب والتوارث بالمؤاخاة قد نسخ في عهد رسول الله ﷺ [2].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ"[3]، وقوله ﷺ: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي

([1]) سورة الحجرات، آية 10.
([2]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (383/19).
([3]) مسلم، صحيح مسلم، (1983/4)، كتاب البر والصلة، باب النهي عن التحاسد والتباغض، رقم الحديث (2559).

حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، (إنما) جاءت للحصر، أي لا أخوة إلا بين المؤمنين، وأما ما بين المؤمن والكافر فلا؛ لأن الإسلام هو الجامع ولهذا إذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله للمسلمين، ولا يكون للأخ الكافر وتعليل لإقامة الإصلاح، وجيء بصيغة القصر لحصر حالهم في حالة الأخوة مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين، فهو قصر ادعائي، أو هو قصر إضافي؛ للرد على أصحاب الحالة المفروضة الذين يبغون على غيرهم من المؤمنين، وجاءت هذه الجملة (إنما المؤمنون أخوة) على وجه التشبيه البليغ، زيادة لتقرير معنى الأخوة[2].

وإطلاق الأخوة على المؤمنين من باب التشبيه البليغ؛ حيث شبهوا بالأخوة من حيث انتسابهم إلى أصل واحد وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية، وتشبه المشاركة في الإيمان بالمشاركة في أصل التوالد لأن كلاً منهما أصل للبقاء؛ إذ إن التوالد منشأ الحياة، والإيمان منشأ البقاء الأبدي في الجنان، ومعنى قوله تعالى: (فأصلحوا بين أخويكم) للإيذان بأن الأخوة الدينية موجبة للإصلاح، وجيء بصيغة التثنية (أخويكم) مراعاة لكون الكلام جارٍ على طائفتين من المؤمنين فجعلت كل طائفة كالأخ للأخرى.

([1]) البخاري، الجامع الصحيح، (128/3)، كتاب المظالم والغضب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث (2442)، وأخرجه مسلم في صحيحه (1996/4)، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم الحديث (2442).
([2]) الفخر الرازي،، التفسير الكبير، (115/28).

ومعنى (فأصلحوا بين أخويكم) كما تصلحون بين الإخوة الأشقاء من النسب، (واتقوا الله لعلكم ترحمون) لجميع المؤمنين يشمل الطائفتين الباغية، والمبغي عليها ويشمل غيرهما ممن أمروا بالإصلاح بينهما ومقاتلة الباغية[1].

(لعلكم ترحمون) ترجى لكم الرحمة من الله تعالى فتجري أحوالكم على استقامة وصلاح، واختيرت الرحمة؛ لأن الأمر بالتقوى واقع إثر تقرير حقيقة الأخوة بين المؤمنين، وشأن تعامل الأخوة الرحمة فيكون الجزاء عليها من جنسها[2].

- **المطلب الثاني: حقيقة الإخاء ودوافعها**

الدين أكبر باعث على المؤاخاة والتآخي؛ فإنه يعزز الألفة والتجمع على تعاليم الدين من أجل صلاح الدنيا والحياة والمجتمع.

يقول الكفوي: الأخ كل من جعل وإياه في صلب أو بطن، والإخوة تستعمل في النسب والمشابهة والمشاركة في شيء[3].

وقال المناوي: الأخ هو الناشئ مع أخيه من منشأ واحد على السواء[4].

ومن دوافع الإخاء أن من يريد أن يؤآخي إنساناً فعليه أن يتعرف أحواله، ويتحرى فيه صفات معينة تتمثل في:

1- أن يكون متمسكاً بتعاليم الدين الحنيف؛ لأن تارك الدين عدو لنفسه، فلا ترجو منه منفعة غيره أو مودته أو مواصلته.

([1]) الألوسي، روح المعاني، (303/13)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (245/26).
([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (245/26).
([3]) الكفوي، الكليات، ص63.
([4]) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص41.

2- أن يكون ذا عقل جيد، يهدي به إلى مراشد الأمور؛ لأن فاقد العقل لا تثبت معه مودة، ولا تدوم لصاحبه استقامة.

3- أن يكون محمود الأخلاق، مرضي الفعال، مؤثراً للخير، آمراً به، كارهاً للشر، ناهياً عنه.

4- أن يكون لدى كل واحد منهما ميل إلى صاحبه، ورغبة في مؤاخاته؛ لأن ذلك آكد لحال المؤاخاة.

وإذا تمت المؤاخاة بينهم ترتب على ذلك الإغضاء عن الهفوات والزلات، والنصح والتناصح بينهم[1].

- **المطلب الثالث: مكانة الأُخوّة الإيمانية**

للأخوة الإيمانية مكانة سامية، فلا بد من المحافظة عليها وتقوية أواصرها، ولو وصل الأمر للقتال عنها والذود في سبيلها؛ لذلك جعل الله عز وجل تحقيق الأخوة والصلح من أسباب رحمة الله.

وتتجلى أهمية هذه الأخوة بتقديمها على أخوة النسب، وهذا ما ذكره القرآن الكريم في بعض آياته قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ

(1) حميد، نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، (2/92-94).
(2) سورة التوبة، آية 24.

إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾[1].

والالتزام بما شرعه الله من أمورٍ تقوي الأخوة وتحافظ عليها، منها الحقوق الست الواردة في حديث الرسول ﷺ حيث قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ست: رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وإذا استنصحك فانصح له»[2].

ومن الأمور التي تبين أهمية هذه الأخوة، نصرة المسلم لأخيه المسلم لقوله عليه الصلاة والسلام: «لِيَنْصُرْ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَإِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نُصْرَةٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ»[3].

وكذلك لا بد من مراعاة الجوانب النفسية؛ فهي أهم ما يوثق العلاقة بين المسلمين وينمي الأخوة ويقومها، ويبعد أسباب القطيعة والهجران، ويبرز تأثيرها النفسي في بعض الأمور منها:

الابتسامة، ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»[4].

1- الهدية، والهدية تسل السخيمة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يأبى الصدقة، ويقبل الهدية لما لها من أثر عظيم في النفس، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "وان النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها"[5].

([1]) سورة المجادلة، آية 22.

([2]) البخاري، الجامع الصحيح، (71/2)، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، رقم الحديث (1240)، وأخرجه مسلم في صحيحه، (1704/4)، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم، رقم الحديث (2160).

([3]) مسلم، صحيح مسلم، (1998/4)، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، رقم الحديث (62)، وأخرجه البخاري في صحيحه، (128/3)، كتاب المظالم، باب أعن أخاك، رقم الحديث (244/3).

([4]) الترمذي، سنن الترمذي،(339/4)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف، رقم الحديث (1953)، وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة صحيح.

([5]) الترمذي، سنن الترمذي، (338/4)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قول الهدية، رقم الحديث (1953)، وقال عنه الألباني صحيح.

2- النهي عن التناجي بين اثنين بحضور ثالث لقوله عليه الصلاة والسلام: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ .حَتَّىَ تَخْتَلِطُوا بِالنّاسِ. مِنْ أَجْلِ أَنْ يحْزِنَهُ»[1].

- **المطلب الرابع: من آثار التآخي بين المسلمين في المجتمع المسلم**

إن الأخوة الإيمانية منهج رباني، متى وعاه المسلمون فقد أصلحوا وأفلحوا في الدنيا والآخرة، والأخوة الإيمانية الصادقة هي البلسم الشافي وسط عالم يموج بالتقاطع والتناحر، ومتى تحققت هذه الأخوة فإنها تعود عليهم بآثار جليلة وعظيمة منها[2]:

1- حماية المجتمع المسلم من أشكال الانحراف، ومن أمراض الضعف الحضاري؛ حيث يستمر هذا المجتمع في قوته وعطائه.

2- حماية المجتمع المسلم من نقاط ضعفه التي جبل عليها، وفي الوقت نفسه حماية المسلم الآخر من هذا الضعف.

3- تحقيق التوازن الاجتماعي، بتحقيق معنى الأخوة السامي، فلا يستشعر الفرد المسلم ألم الفوارق بين المسلم وأخيه سواء كان هذا الفارق في المال أو الجاه أو غير ذلك.

4- توفير مهاد اجتماعي سليم للعلاقات الاجتماعية باعتبار أن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع.

5- مهاد الأخوة الإسلامية يتيح فرصة صحيّة لتناول أمور ومشكلات المجتمع من أجل علاجها، ومن ثم يمكن مواجهة هذه المشكلات، وحلها حلاً سهلاً.

6- تتيح الأخوة فرصة طيبة من أجل تحقيق التكافل الاجتماعي، وتحقيق العدل في المجتمع المسلم؛ لأنها تبنى على علاقات اجتماعية سليمة.

([1]) البخاري، الجامع الصحيح، (65/8)، كتاب السلام، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس، رقم الحديث (6290)، وأخرجه مسلم في صحيحه، (1718/4)، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون، رقم الحديث (2184).
([2]) حميد، نضرة النعيم، (117/2).

7- توفير الفرصة الكاملة للابتكار والأداء الممتاز في قلب المجتمع بالانسجام بين أفراده[1].

8- المتحابون في الله يكونون من أولياء الله على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي يقول الله تعالى: «الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»[2].

9- الأخوة في الله موجبة لمحبة الله تعالى، والقرب منه لقوله ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ؟ قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[3].

([1]) حميد، نضرة النعيم، (117/2).

([2]) الترمذي، سنن الترمذي، (597/4)، كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، رقم الحديث(2390)، وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة صحيح.

([3]) مسلم، صحيح مسلم، (1488/4)، كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله، رقم الحديث (2567).

المبحث السابع

السخرية واللمز والتنابز بالألقاب وآثارهما في هدم القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

جميع الأمراض الاجتماعية إنما هي آثار ونتائج للأمراض النفسية، تبرز وتتجلى في الواقع الاجتماعي، وتتجسد في العلاقات مع الآخرين، لذلك لا بد من الحديث عن تلك الأمراض النفسية المتمثلة في السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، وآثارهما في هدم القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم.

وهذا المبحث يتناول عدة مطالب منها: التفسير والبيان، وحقيقة التنابز وحكمه، وآثاره على أبناء المجتمع المسلم.

- **المطلب الأول: التفسير والبيان**

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾[1].

افتتحت هذه الآية بإعادة النداء للاهتمام بالغرض فيكون مستقلاً غير تابع حسبما تقدم من كلام الفخر، وقد تعرضت الآيات عقب النداء لصنفٍ مهم من معاملة المسلمين بعضهم لبعض من إساءة في الأقوال، ويقتضي النهي عنها والأمر بأضدادها، وتلك المنهيات هي: السخرية، واللمز، والتنابز، وقد نزلت هذه الآيات في خلق الجاهلية فكان الرجل يسخر ويهمز ويلمز[2].

([1]) سورة الحجرات، آية 11.
([2]) ابن عطية، المحرر الوجيز، (149/5)، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (247/26).

ويقول ابن فارس: السخرية تدل على الاحتقار والاستذلال، وسخر منه أي هزئ منه[1]، والسخرية: الاستهزاء، والقوم: اسم جمع، جماعة من الرجال خاصة دون النساء، وفي عامة القرآن أُريدوا به والنساء جميعاً، وقد يراد به الرجال والنساء تغليباً كما قيل في قوم عاد وقوم فرعون[2].

ودلالة تنكير (قوم) في الموضعين للتبعيض ولإفادة الشياع؛ لئلا يتوهم نهي قوم معينين سخروا من قوم معينين، وأمّا دلالة إسناد الفعل (يسخر) إلى (قوم) دون أن يقول لا يسخر بعضكم من بعض كما قال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ للنهي عما كان شائعاً بين العرب من سخرية القبائل بعضها من بعض[3].

ويقول الغزالي: السخرية: الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يُضحَك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزئ به لم يُسم ذلك غيبة، وفيه معنى الغيبة، وأن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر[4].

وبسبب ما كان شائعاً بين العرب من سخرية القبائل بعضها من بعض، وُجّه النهي إلى الأقوام ولهذا لم يقل: لا يسخر رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة.

ويفهم منه النهي عن أن يسخر أحد من أحد بطريق لحن الخطاب، وهذا النهي صريح في التحريم، وجملة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ جملة مستأنفة، معترضة بين الجملتين المتعاطفتين

([1]) ابن فارس، مقاييس اللغة، (144/3)، الجوهري، القاموس المحيط، ص405.
([2]) الأصفهاني، المفردات، ص418، كتاب القاف، والألوسي، روح المعاني، (304/13).
([3]) الألوسي، روح المعاني، (304/13)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (247/26).
([4]) الغزالي، إحياء علوم الدين، (131/3).

تفيد المبالغة في النهي عن السخرية[1].

ومعنى اللمز كما يقول ابن عاشور: ذكر ما يعده الذاكر عيباً لأحد مواجهة، فهو المباشرة بالمكروه، فإن كان بحق فهو وقاحة واعتداء، وإن كان باطلاً فهو وقاحة وكذب، وكان شائعاً في الجاهلية.

و(النبز) هو اللقب السوء، والمقصود بالألقاب المكروهة، وما أَشعر بِخِسَّةٍ أو شرفٍ، سواء كان ملقباً به صاحبه، أم اخترعه النابز له. ودلالة مجيء الجملة (ولا تلمزوا) بصيغة الفعل الواقع من جانب واحد، ومجيء (ولا تنابزوا) بصيغة الفعل الواقع من جانبين؛ لأن اللمز قليل الحصول بخلاف النبز فهو كثير في الجاهلية في قبائل كثيرة منهم بنو سلمة بالمدينة[2].

ومعنى قوله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ تذييل للمنهيات المتقدمة، وهو تعريض قوي بأن ما نهوا عنه فسوقٌ وظلمٌ، وهذا دال على أن اللمز والتنابز معصيتان؛ لأنهما فسوقٌ، وذلك لقوله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[3].

ودلالة لفظ (الاسم) هنا لأن السياق تحذير من ذكر الناس بالأسماء الذميمة؛ إذ الألقاب أسماء فكان اختيار لفظ الاسم الفسوق مشاكلة معنوية، والمعنى بئس الذكر أن يذكر أحد بالفسوق بعد أن وصف بالإيمان، كأن يقال للمؤمن يا كافر، ودلالة البعدية (بعد الإيمان) بعد الاتصاف بالإيمان، أي أن الإيمان لا يناسبه الفسوق؛ لأن المعاصي من شأن أهل الشرك[4].

وإذا كان من السخرية واللمز والتنابز ما هو معاصٍ فقد وجبت التوبة، ومن لم يتب فهو ظالم؛ لأنه ظلم الناس بالاعتداء عليهم، وظلم نفسه بأن رضي لهما عقاب الآخرة فكان ظلمه

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (448/26).
([2]) ابن عطية، المحرر الوجيز، (149/5).
([3]) البخاري، الجامع الصحيح، (15/8)، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن، رقم الحديث (6044).
([4]) ابن عطية، المحرر الوجيز، (150/5)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (250/26).

شديداً جداً، وذلك لمجيء صيغة قصر الظالمين عليهم، كأنه لا ظالم غيرهم، لعدم الاعتداد بالظالمين، وهذا سبيل المبالغة ليزدجروا[1].

- **المطلب الثاني: حقيقة التنابز وحكمه**

ومعنى التنابز في اللغة هو التلقيب، وجمع النبز أنباز[2].

ويقول القرطبي: من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق، لما جاء في الصحيحين: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[3]، فمن فعل ما نهى الله عنه من السخرية والهمز واللمز والنبز، فذلك فسوق، وذلك لا يجوز.

وهناك مستثنيات غلب عليها الاستعمال؛ كالأعرج والأحدب والأعمى فجوّزته الأمة، واتفق على قوله أهل الملة.

وإذا كان اللقب في ظاهره الكراهة فلا يجوز، وإذا أريد بها الصفة لا العيب فجائز وذلك كثير، وقد سئل عبد الله بن المبارك عن الرجل يقول: حميد الطويل، وسليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصفر، فقال: إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس[4].

وخلاصة الكلام أن الألقاب لها ثلاث حالات:

أ- الألقاب المحمودة، كالصديق ونحوه، وهذه جائزة بلا كراهية.

ب- الألقاب المذمومة، التي يقصد بها التحقير والازدراء، وهي محرمة باتفاق.

ت- الألقاب التي يقصد بها التعريف ونحوه، بدون قصد التحقير، وهذه جائزة شرعاً.

([1]) ابن عطية، المحرر الوجيز، (150/5).
([2]) ابن فارس، مقاييس اللغة، (261/5)، الجوهري، الصحاح، (397/3).
([3]) البخاري، الجامع الصحيح، (26/8)، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل، رقم الحديث (6103)، أخرجه مسلم، صحيح مسلم، (79/1)، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه، رقم الحديث (60).
([4]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (392/19).

لذلك كان من هديه ﷺ، تغيير الأسماء والألقاب التي كانت من مخلفات الجاهلية، والتي تزري بأصحابها وتنقصهم، ولا يليق بالكرامة الإنسانية، وكان من هديه ﷺ، أن ينادى الإنسان بأحب الأسماء إليه لزيادة أواصر المحبة والألفة بين المسلمين.

وقد ورد الوعيد على اللمز في قوله تعالى:﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾[1]، والفرق بين الهمز واللمز هو: أنّ اللمز: أن يعيب الرجل بشيء بتهمة فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾[2] أي يعيبك ويتهمك أنك تضعها في غير موضعها، واللمز لا يكون إلا قولاً.

والهمز: هو أن يهمز الإنسان بقول قبيح من حيث لا يسمع أو يحثه ويوسده على أمر قبيح أي يغريه به.

واللمز أجهر من الهمز، وفي القرآن (همزات الشياطين) ولم يقل لمزات؛ لأن مكايدة الشيطان خفية[3].

- **المطلب الثالث: آثار السخرية واللمز والنبز في المجتمع المسلم**

إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام مجتمع له أدبه الرفيع، وأخلاقه السامية، ولكل مسلم كرامته وحريته وحقوقه التي منحها إياه الدين الإسلامي الحنيف، لذلك نهى الإسلام عن السخرية واللمز، والتنابز بين المسلمين لما فيه من آثار سيئة على أبناء المجتمع المسلم ومنها[4]:

1- في السخرية مخالفة صريحة لأمر الله عز وجل، ثم هي جالبة لسخطه مستوجبة لعذابه.

2- السخرية تفكك عرى المجتمع المسلم وتجعل المستسخر به ناقماً على الساخر متربصاً به يحاول الانتقام لنفسه.

3- السخرية نذير شؤم للساخرين، فقد كان الغرق عاقبة قوم نوح الذين كفروا بالله وسخروا من نوح.

([1]) سورة الهمزة، آية 1.
([2]) سورة التوبة، آية 58.
([3]) العسكري، الفروق اللغوية، (53/1).
([4]) حميد، نضرة النعيم، (4614/10).

4- السخرية تفقد الساخر الوقار، وتسقط عنه المروءة.

5- الساخر يظلم نفسه بتحقير من وقره الله عزَّ وجلَّ، واستصغار من عظّمه الله.

6- السخرية انتهاك صريح لحقوق الإنسان عامة، ومخلّة بمبدأ تكريم الإنسان على وجه الخصوص.

7- السخرية تميت القلب وتورثه الغفلة، حتى إذا كان يوم القيامة ندم الساخر على ما قدمت يداه، ولات ساعة مندم كما في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦﴾[1].

8- الساخرون من الناس في الدنيا، يسخر منهم الله عز وجل، وأنبياؤه الكرام في الآخرة.

9- السخرية تنسي الإنسان ذكر ربّه، وبذلك يخسر الساخر نفسه ويلقي بها في النار.

10- السخرية داء من أدواء الجاهلية، يجب تجنبه والبعد عنه.

11- اللامز لأخيه المؤمن الساخر منه، إنما يلمز نفسه ويسخر منها؛ لأن المؤمنين كرجل واحد، وهذا التصرف مُبعد من رحمة الله[2].

([1]) سورة الزمر، آية 56.
([2]) حميد، نضرة النعيم، (4614/10).

المبحث الثامن

اجتناب الظن، وآثاره في هدم القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

تحدثت سورة الحجرات عن أخطر ما يواجه المسلمين في علاقات بعضهم ببعض، وما يجب من الذب عن أعراضهم، وحفظ حرماتهم، ومن بوادر الشر أن يخطر بنفس المرء نحو أخيه ظن السوء، لبادرة أساء فهمها وتأويلها، وفي هذا المبحث يتناول عدة مطالب منها: التفسير والبيان، وحكم سوء الظن بالمسلم، وعلاج سوء الظن، وآثاره السلبية على المجتمع المسلم

- **المطلب الأول: التفسير والبيان**

وذلك للآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[1] وقد أعيد في هذه الآية النداء الخامس بـ(يا أيها الذين آمنوا) لاختلاف الغرض والاهتمام به، وذلك لأن المنهيات المذكورة بعد هذا النداء من جنس المعاملات السيئة الخفيّة.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ تأديب عظيم يبطل ما كان فاشياً في الجاهلية من الظنون السيئة، والتهم الباطلة، وأن الظنون السيئة تنشأ عنها الغيرة المفرطة والمكائد، وثبت في الصحيحين أن النبيﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»[2].

([1]) سورة الحجرات، آية 12.

([2]) البخاري، الجامع الصحيح، (1985/4)، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس، رقم الحديث (2563).

والمراد بالظن: ظن السوء بالمسلمين، وأما ظن الخير فهو حسن لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾، والإثم هنا الكذب لأن الظن أكذب الحديث، وقد يكون إثماً إذا تكلم به، وإذا لم يتكلم به فهو في فسحة؛ لأنه لا يقدر على دفع الخواطر[1].

وللظن حالتان الظن: حالة تُعرف وتَقَوى بوجه من وجوه الأدلة، فيجوز الحكم بها، وأكثر أحكام الشريعة مبنية على غلبة الظن، كالقياس، وخبر الواحد وغير ذلك.

والحالة الثانية: أن يقع في النفس بشيء من غير دلالة، فلا يكون ذلك أولى من ضده، فهذا هو الشك، فلا يجوز الحكم به، وهو المنهي عنه[2].

ومعنى كون الظن إثماً: إمّا أن ينشأ عن ذلك الظن عمل أو مجرد اعتقاد، فإن كان قد ينشأ عليه عمل من قول أو فعل كالاغتياب والتجسس، وغير ذلك فليقدر الظان أن ظنه كاذب، ثم لينظر في عمله الذي بناه عليه فيجده قد عامل به من لا يستحق تلك المعاملة من اتهامه بالباطل فيأثم مما طوى عليه قلبه لأخيه المسلم.

وإن لم ينشأ عليه إلا مجرد اعتقاد دون عمل فليقدر أن ظنه كان مخطئاً بحيث يجد في نفسه قد اعتقد في أحد ما ليس به[3].

ومعنى الأمر باجتناب كثير من الظن الأمر بتعاطي وسائل اجتنابه، فإن الظن يحصل في خاطر الإنسان اضطراراً عن غير اختيار، فلا يعقل التكليف باجتنابه، وإنما يراد الأمر بالتثبت فيه وتمحيصه والتشكك في صدقه إلى أن يتبين موجبه بدون تردد أو برجحان، أو يتبين

([1]) ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن الأرقم، ط(1)، (297/2)، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (250/26).
([2]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (397/19-398).
([3]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (252/26).

كذبه فتكذب نفسك فيما حدثتك، وهذا تحذير يراد منه مقاومة الظنون السيئة بما هو معيارها من الأمارات الصحيحة[1].

- **المطلب الثاني: حكم سوء الظن بالمسلم**

إنّ إساءة الظن من مداخل الشيطان التي تهلك صاحبها، وتدل على خبث النفس، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: مهما رأيت إنساناً يسيء الظن بالناس طالباً للعيوب فاعلم أنه خبيث الباطن، وأن ذلك خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق الخلق كافة وأن لا يسيء الظن بهم، ولقد وصف الله سبحانه وتعالى سوء الظن بالبهتان العظيم، إي أنه من أشد أنواع الافتراء، وحذر عباده المؤمنين بأسلوب شديد اللهجة على عظم جرم إساءة الظن[2]، قال تعالى:﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[3].

ولقد نهى النبي ﷺ عن الظن بالناس، وتتبع أمور الناس وعوراتهم، حرصاً منه ﷺ على شغل المسلم نفسه بالخير، وعدم الوقوع فيما لا يُغني من الله شيئاً، فقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»[4].

ويقول الزمخشري: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها، أن كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر، كان حراماً واجب الاجتناب؛ وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (252/26).
([2]) الغزالي، إحياء علوم الدين، (36/3).
([3]) سورة النور، آية 16.
([4]) البخاري، الجامع الصحيح، (2253/4) كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم الحديث (5717)، وأخرجه مسلم في صحيحه (1983/4)، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر، رقم الحديث (2558).

الستر والصلاح، وبدت منه الأمانة من الظاهر، فظنُّ الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهر عند الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث[1].

فالمسلم مأمور بأن يحسن الظن بإخوانه، قال تعالى:﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾[2].

وأن يحمل ما يصدر عنهم من قول أو فعل على مجمل حسن ما لم يتحول الظن إلى يقين جازم، وقد أمرنا الله عز وجل بالتثبت قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[3].

- **المطلب الثالث: علاج سوء الظن**

قد ينشأ المرء في بيئةٍ معروفة بسوء الخلق، ومنه سوء الظن، ولا بد من علاج هذا الداء والابتعاد عنه وذلك عن طريق عدة خطوات منها:

1- بناء العقيدة السليمة القائمة على تحسين الظن بالله، وبرسوله وبالمؤمنين الصالحين.

2- التنشئة على الالتزام بآداب الإسلام في الحكم على الأشياء والأشخاص من الاعتماد على الظاهر، وترك السرائر إلى الله وحده، وطلب الدليل والبرهان.

3- التنشئة على الالتزام بآداب الإسلام في النجوى من عدم تناجي اثنين فما فوقهما دون الآخر، وأن تكون النجوى في الطاعة والمعروف.

([1]) الزمخشري، الكشاف، (371/4).
([2]) سورة النور، آية 12.
([3]) سورة الحجرات، آية 5.

4- تجنب الوقوع في الشبهات، ثم الحرص على دفع هذه الشبهات إن وقعت من غير قصد[1] وذلك في قصته ﷺ مع الأنصاريين، حين كان يواري أم المؤمنين صفية وهو معتكف، وأسرعا السير واستوقفهما قائلاً: "إنها صفية بنت حيي"[2].

5- الحرص على سلامة البيئة، ولا سيما في مجتمع الأصدقاء، فإن ذلك له دور كبير في علاج سوء الظن وحماية النفس من الوقوع في الإثم.

6- مجاهدة النفس، وقمع الهوى والشهوات.

7- التذكير الدائم بعواقب سوء الظن في الدنيا والآخرة، وعلى الفرد والجماعة.

8- دوام النظر في كتب السيرة والتاريخ، لا سيما تاريخ المسلمين، فإنها مليئة بصور حية عن الظن السيء وآثاره[3].

- **المطلب الرابع: آثار سوء الظن على الفرد والمجتمع المسلم**

لسوء الظن آثاره السلبية، وعواقبه الخطيرة يصطلي بنارها الفرد والجماعة، ومن هذه الآثار وتلك العواقب:

1- الوقوع في المعاصي والسيئات من التجسس، والغيبة والنميمة.

2- القعود عن أعمال البر والطاعات فضلاً عن القلق والاضطراب النفسي.

3- شعور المسلم بالحسرة والندامة.

4- كراهية الناس ونفورهم من أصحاب الظن السيِّئ.

5- التعرض للغضب والسخط الإلهي لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾[4].

6- شيوع سوء الظن في المجتمع المسلم يؤدي إلى الفرقة وتمزيق الصف.

([1])نوح، آفات على الطريق، (29/3).
([2]) أبو داود، سنن أبي داود، (269/4)، كتاب الأدب، باب في الغيبة، رقم الحديث (4875).
([3]) نوح، السيد محمد، آفات على الطريق، دار الوفاء، المنصورة، ط(1)، 1413هـ- 1993م، (38/3-41).
([4]) سورة طه، الآية 81.

7- افتقار المجتمع إلى الثقة من بعضهم البعض فيتباغضون، ويتدابرون، ويتقاطعون، وتضعف قوتهم وتذهب شوكتهم[1].

8- سوء الظن يعرض المسلم ليظلم نفسه، ويظلم غيره من أبناء المجتمع، ويعرض نفسه للعقاب الإلهي.

لذلك فإن على الإنسان أن يحذر من هذه الآفة الضارة بالدين والدنيا، وأن يحرص على سلامة صدره؛ ليعيش هنيء البال، مرتاح النفس.

وإحسان الظن بالناس يحتاج إلى كثير من مجاهدة النفس لحملها على ذلك، بخاصة وأن الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم، ولا يكاد يفتر عن التفريق بين المؤمنين والتحريش بينهم.

([1]) نوح، آفات على الطريق،، (3/29-31)

المبحث التاسع

التجسس وآثاره في هدم القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

إن أول بوادر الشر أن يخطر بنفس المرء نحو أخيه ظن السوء لبادرة أساء فهمها وتأويلها، فيأخذ في تثبيت ما خطر بباله، ويسعى في تدعيمه بتتبع حركاته وسكناته، بانياً على ذلك الظن الذي قام بنفسه، وسوء الظن هذا سيقوده إلى التجسس، والتجسس سيقوده إلى الغيبة.

هذا المبحث يتناول عدة مطالب منها: التفسير والبيان، والفرق بين التجسس والتحسس، وآثار التجسس السلبية على المجتمع المسلم.

- **المطلب الأول: التفسير والبيان**

يقول الله تبارك وتعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾[1].

والتجسس من آثار الظن؛ لأن الظن يبعث عليه حين تدعو الظان نفسه إلى تحقيق ما ظنّه سراً، فيسلك طريق التجسس، وقد نهى الله عز وجل عن سلوك هذا الطريق، ووجه النهي لما فيه من التطلع على العورات، وقد يرى المتجسس عليه ما يسوئه، فتنشأ عنه العداوة والحقد[2].

ويقول القرطبي معنى (ولا تجسسوا) خذوا ما ظهر، ولا تتبعوا عورات المسلمين، أي: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله[3].

وقد نهى الرسول ﷺ عن تتبع عورات المسلمين؛ لأن في هذا إيذاءً لهم وانتهاكاً لحرماتهم، ومن آذى أخاه المسلم آذاه الله تعالى، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوت رفيع، قال: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا

([1]) سورة الحجرات، آية 12.
([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (26/253-254).
([3]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (19/399).

تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»[1].

ويقول ابن حجر العسقلاني: يستثنى من النهي عن التجسس ما لو تعين طريقاً إلى إنقاذ نفس من الهلاك، مثلاً كأن يخبر ثقة بأن فلاناً خلا بشخص ليقتله ظلماً، أو بامرأة ليزنى بها، فيشرع في هذه الصورة التجسس والبحث عن ذلك حذراً من فوات استدراكه.

ولا يشمل التجسس على الأعداء لمصلحة الأمة، ولا تجسس الشرط على الجناة واللصوص[2].

- **المطلب الثاني: الفرق بين التجسس والتحسس**

نهى النبي ﷺ عن الظن بالناس، وتتبع عورات المسلمين، حرصاً منه على شغل المسلم نفسه بالخير وعدم الوقوع فيما لا يغني من الله شيئاً، فقال عليه الصلاة والسلام: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»[3].

والفرق بين التجسس بالجيم والتحسس بالحاء أن التحسس من الحواس الخمس، والتجسس من الجسِّ بمعنى اختبار الشيء باليد، وهي إحدى الحواس، فتكون بالحاء أعم. وقيل بالجيم: البحث عن عورات الناس، وبالحاء: استماع حديث القوم. وقيل بالجيم: البحث عن

([1]) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، (378/4)، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، رقم الحديث (2032)، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد، وروى إسحاق بن إبراهيم السمرقندي، عن حسين بن واقد نحوه.

([2]) ابن حجر، فتح الباري، (680/10)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (254/26).

([3]) البخاري، الجامع الصحيح، (2253/5)، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم الحديث (5717)، وأخرجه مسلم في صحيه، (9183/4)، كتاب البر والصلة، باب النهي عن التحاسد والتباغض، رقم الحديث (2558).

بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر، وبالحاء: البحث عما يدرك بحاسة العين والأذن، وبالجيم تتبع الشخص لأجل غيره، وبالحاء تتبعه لنفسه[1].

ويقول ابن عطية: التحسس طلب الشيء بالحواس من البصر والسمع، ويستعمل في الخير والشر وجاء في الخير في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[2]، وفي الشر قول ﷺ: «ولا تحسسوا»[3].

- **المطلب الثالث: آثار التجسس**

التجسس قد يكون الحركة التالية للظن، وقد يكون حركة ابتدائية لكشف العورات والاطلاع على السوءات، والقرآن الكريم يقاوم هذا العمل الدنيء من الناحية الأخلاقية، فالناس على ظواهرهم، ولا يجوز لأحدٍ أن يتعقب بواطنهم؛ لما في ذلك من آثار سيئة تؤثر في علاقاتهم مع بعضهم البعض وعلى مجتمعهم، ومن هذه الآثار السيئة[4]:

1- التجسس ثلم للأخوة الإسلامية؛ لأنه يبعث على إظهار التناكر.

2- اطلاع المتجسس على تجسس الآخرين سبب في نشوء الكره والبغض والحقد في النفوس.

3- انتشار المشاكل الاجتماعية والنفسية مثل القلق والخوف والتفكير السلبي الذي يؤدي إلى الاكتئاب؛ لأن المتجسس لا يهدأ له بال ولا ينام قرير العين، مرتاح النفس.

4- التجسس على عورات المسلمين ينزع الثقة والألفة من بعضهم البعض وتقطع الصلات بينهم.

5- انتشار الخصومات والنزاعات، والعداوات بين الناس، ويؤدي إلى التدابر والتشاحن.

([1]) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار مصر، ط(1)، 1421هـ- 2001م، (680/10).
([2]) سورة يوسف، آية 87.
([3]) ابن عطية، المحرر الوجيز، (151/5).
([4]) حميد، نضرة النعيم، (4132/9).

6- إضعاف لبنات المجتمع المسلم، وجعله لقمة سائغة في فم أعدائه.

7- نيل العقاب العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة بسخط الله وعذابه.

8- دليل على ضعف الإيمان وفساد الخلق.

9- دليل على دناءة النفس وخسّتها.

10- يورد صاحبه موارد الهلاك ويورث الفجور.

11- يؤدي إلى فساد الحياة وكشف العورات.

12- يستحق صاحبه غضب الله ورسوله والمؤمنين[1].

([1]) حميد، نضرة النعيم، (4132/9).

المبحث العاشر

الغيبة وآثارها في هدم القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم

هذا الخلق الذميم الذي يُبتلى به كثير من المسلمين، بل لا يكاد يسلم منه أحد إلا من رحم الله عز وجل، وحتى نتجنب ونتطهر منها لا بد لكل مسلم أن يتق الله عز وجل، وأن يأخذ بما أمر الله به ورسوله ﷺ.

وهذا المبحث يتناول عدة مطالب منها: التفسير والبيان، وتعريف الغيبة وصورها، والأحوال التي تباح فيها الغيبة، وآثارها السيئة على أفراد المجتمع المسلم.

- **المطلب الأول: التفسير والبيان**

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[1] أي لا يذكر بعضكم بعضاً بما يكره في غيبته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ"[2].

والمراد بالذكر صريحاً أو كناية، ويدخل الرمز والإشارة ونحوهما إذا أدت مؤدّى النطق؛ لأن علة النهي عن الغيبة إيذاء الآخرين[3].

وقد جاء التعبير القرآني ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ دون أن يقول: اجتنبوا الغيبة، لقصد التوطئة للتمثيل الوارد في قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ والاستفهام تقريري؛

([1]) سورة الحجرات، آية12.

([2]) مسلم، صحيح مسلم، (2001/4)، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة، رقم الحديث (2589)، الترمذي، سنن الترمذي، (329/4)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الغيبة، رقم الحديث (1934).

([3]) الألوسي، روح المعاني، (309/13).

لتحقق أن كل أحد يقر بأنه لا يحب ذلك، ولذلك أجيب الاستفهام بقوله (فَكَرِهْتُمُوهُ)، ومثلت الغيبة بأكل لحم الأخ الميت، والتمثيل مقصود منه استفظاع الممثل وتشويهه لإفادة الإغلاظ على المغتابين؛ لأن الغيبة متفشية في الناس وبخاصة في أيام الجاهلية[1].

والحكمة من هذا التشبيه هي الإشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، وهذا من باب القياس الظاهر؛ وذلك لأن عرض المرء أشرف من لحمه، فإذا لم يَحسُن من العاقل أكل لحوم الناس، لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى؛ لأن ذلك آلم.

وقوله (لَحْمَ أَخِيهِ) آكد في المنع؛ لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو، فكيف أصدق الأصدقاء من ولدته أمك، فأكْلُ لحمه أقبح ما يكون[2].

ودلالة إسناد الفعل إلى (أحد) في قوله تعالى (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ) للإشعار بأن أحداً من الأحدين لا يحب ذلك.

والغيبة حرام بدلالة هذه الآية، وآثار من السنة بعضها صحيح وبعضها دون ذلك ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا" وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِن الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»[3].

وقوله ﷺ لعائشة، وقد قالت عن صفية–رضي الله عنها–: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (255/26).
([2]) الفخر الرازي، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، (110/28).
([3]) مسلم، صحيح مسلم، (128/3)، كتاب المظالم والغضب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث (2442).

بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»[1]، وجملة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ تذييل لآية الغيبة؛ لأن التقوى تكون بالتوبة بعد التلبس بالإثم فقيل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ وتكون التقوى ابتداء فيرحم الله المتقي فالرحيم شامل للجميع[2].

- **المطلب الثاني: تعريف الغيبة وصورها**

الغيبة: أن يذكر الإنسان غيره بما فيه من عيب، من غير حاجة إلى ذكره، وقيل الغيبة: أن تتكلم عن إنسان مستور بما فيه، فإن كان صدقاً سمي غيبة، وإن كان كذباً سمي بهتاناً[3].

أما ماهية الغيبة في المصطلح الشرعي، فتدور حول ذكر المسلم أخاه المسلم في غيابه بما فيه مما يسؤوه، ويكرهه، يستوي في ذلك اللفظ والكتابة، التصريح والتلويح[4].

أما مظاهر الغيبة وصورها فهي كثيرة منها:

1- العيوب البدنية كقولك عن المسلم: قصير، طويل، كبير البطن وغيره.

2- العيوب الدينية كقولك عن المسلم: قليل الأدب، يتهاون في الناس، كثير الكلام، كثير الأكل أو النوم وغيره.

3- العيوب المتعلقة بأسرته كقولك عن المسلم: أبوه فاسق، أو زنجي، اسكافي،...إلخ.

4- العيوب الخِلْقية للمغتاب كقولك: متكبر، عبوس، مراءٍ، بخيل...

5- سماع المغتابين، وعدم زجرهم والإنكار عليهم، ومقاطعة مجالسهم[5].

([1]) أبو داود، سنن أبو داوود، (269/4)، كتاب الأدب، باب الغيبة، رقم الحديث (4875)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (157/26).
([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (157/26).
([3]) الأصفهاني، المفردات، ص367، الجوهري، الصحاح، (196/1).
([4]) الغزالي، إحياء علوم الدين، (140/3).
([5]) نوح، آفات على الطريق، (46/3-47).

- **المطلب الثالث: الأحوال التي تباح فيها الغيبة**

1- التظلم: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي، مما له قدرة على إنصافه من ظالمه، فيذكر أن فلاناً ظلمني وفعل بي كذا وكذا لقوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾[1].

2- الاستعانة على تغيير المنكر والمعاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه[2].

3- الاستفتاء: كقول هند للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال ﷺ: "خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ

4- "[3]، فهنا ذكرته بالشح والظلم لها ولولدها، ولم يرها مغتابة[4].

4- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه منها: جرح المجروحين من الرواة للحديث، وكذلك الشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة، فقد استأذن رجل على النبي ﷺ فقال: ائْذَنُوا لَهُ فَلَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ"[5].

ويقاس على ذلك: أنه إذا استشارك إنسان في مصاهرته، أو مشاركته أو إيداعه، فوجب عليك أن تذكر له ما تعلمه على جهة النصيحة، ويدل على ذلك ما جاء في حديث فاطمة بنت قيس أنها جاءت تستشير رسول الله ﷺ في رجلين خطباها؛ هما: معاوية، وأبو الجهم، فقال ﷺ:" أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ لَا مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو الْجَهْمِ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ، وَلَكِنْ أُسَامَةُ"[6].

([1]) سورة النساء، آية 148.
([2]) نوح، آفات على الطريق، (52/3).
([3]) البخاري، الجامع الصحيح، (65/7)، كتاب النفقات، باب إذا لم ينفق الرجل، رقم الحديث (5364)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، (1338/3)، باب قضية هند، رقم الحديث (1714).
([4]) نوح، آفات على الطريق، (52//3).
([5]) البخاري، الجامع الصحيح، (13/8)، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، رقم الحديث (6032)، وأخرجه مسلم في صحيحه، (3003/4)، كتاب الأدب، باب مداراة من يتقي فحشه، رقم الحديث (2591).
([6]) مسلم، صحيح مسلم، (1119/2)، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، رقم الحديث (1480).

ويقاس عليها أيضاً إذا رأيت متفقهاً يتردد إلى مبتدع او فاسق، يأخذ عنه العلم فعليك نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يكون القصد النصيحة[1].

- **المطلب الرابع: آثار الغيبة على المجتمع المسلم وطرق الوقاية منها**

للغيبة آثار ضارة، وعواقب مهلكة سواء كان ذلك على العاملين أم على العمل الإسلامي، ومن هذه الآثار المدمرة على أفراد المجتمع المسلم:

1- التعرض لسخط الله وغضبه، لقوله ﷺ: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ "[2].

2- العذاب الشديد، ولا سيمّا في القبر، فقد مرّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالغيبة والنميمة[3].

3- الغيبة في حد ذاتها مظهر من مظاهر الجبن، وألاّ يواجه المغتاب أخاه بعينه وينصحه بالحكمة والموعظة الحسنة.

4- الفرقة والتمزق، الأمر الذي يؤدي إلى شيوع الشر والفساد، وكثرة التكاليف، وتمكن الأعداء من رقابنا.

5- الغيبة تؤدي إلى قول الزور، وقول الزور يؤدي إلى البهتان، والبهتان يؤدي إلى الخصومة.

6- الغيبة تنشر الحقد والبغضاء، والقطيعة بين المسلمين[4].

بعد عرض هذه الآثار المهلكة على الفرد والمجتمع، لا بد لنا من معرفة طرق الوقاية من هذه الآفة ومنها:

([1]) نوح، آفات على الطريق، (3//55).
([2]) البخاري، الجامع الصحيح، (8/101)، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم الحديث (6478).
([3]) البخاري، الجامع الصحيح، (1/53)، كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم الحديث (218)، وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، (1/240)، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول.
([4]) نوح، آفات على الطريق، (3/68-70).

- تربية ملكة تقوى الله، ومراقبته في النفس، وهذه الملكة إن نبتت ورسخت في النفس تحمي صاحبها من أكل لحوم الناس، ولعلَّ هذا الدواء الوارد في نهاية آية تحريم الغيبة بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].
- أن يضع المسلم في حسابه أن كل ما يتفوه به مكتوب ومحسوب ومشهود عليه لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[2].
- التثبت أو التبين في الحكم على الأشياء والأشخاص، بل وفي نقل هذا الحكم، وإشاعته بين الناس حفاظاً على أعراض الناس، وإبقاءً على رابطة الأخوة؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[3].
- كظم الغيظ، ومقاومة الغضب؛ لأن الغضب من أسباب الوقوع في الغيبة لقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾[4].
- العمل على سلامة البيئة قريبة كانت أو بعيدة من هذه الآفة، حتى لا تكون مجالاً للاقتداء أو للمحاكاة بما هو موبق في الدنيا والآخرة.
- دعوة ذوي الأسوة والقدوة أن تكون تصرفاتهم دقيقة ومحسوبة، وإلا اقتدى بهم الآخرون وكانت شرور ومفاسد لا يعلم عقباها إلا الله[5].

([1]) سورة الحجرات، آية 12.
([2]) سورة ق، آية 18.
([3]) سورة الحجرات، آية 6.
([4]) سورة آل عمران، آية 134.
([5]) نوح، آفات على الطريق، (3/72-73).

المبحث الحادي عشر

التعارف بين الناس، وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

التقوى اسم جامع لخيري الدنيا والآخرة، فمن قام بحقها استغنى عن التفاخر بما لا يعود عليه بالفخر، من لون أو نسب أو مال وحسب؛ لأنه يجد في قلبه ما يغنيه عن كل الثناء، ومن حكمة الله تعالى في خلقه أن جعل الإنسان لا يستطيع العيش وحده، فلا بد للإنسان من الجماعة، والصلة بالناس، والتعرف عليهم، والتعاون معهم على تحقيق مصالحه، ومن هنا فقد كان التعارف مبدأ لنفع كثير، ومفتاحاً لكل خير.

وهذا المبحث يتناول عدة مطالب منها: التفسير والبيان، وحقيقة التعارف وآثاره في بناء المجتمع المسلم.

- **المطلب الأول: التفسير والبيان**

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[1]

وقد افتتحت هذه الآية بالنداء بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهو النداء الوحيد في السورة، والبقية كلها بنداء الإيمان (يا أيها الذين آمنوا)، والحكمة باقتران هذا الموضع بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾أن هذا هو آخر نداءات الله لعباده في هذه السورة، وهو أعم من النداء بعنوان الإيمان فقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ أي من آدم وحواء باعتبار الأصل، كما أن كل آدمي مخلوق من أبوين أحدهما ذكر والآخر أنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل وبطوناً وأفخاذً وفصائلاً، كل هذا لحكمة التعارف، فلم يجعلكم كجنس الحيوان لا يعرف الحيوان الآخر، ولكن لحكمة التعارف المقتضي للتعاون، إذا التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع صالح لذا فتعارفوا وتعاونوا، ولا تتفرقوا

(1) سورة الحجرات، آية 13.

لأجل التفاخر بالأنساب، فإنه لا قيمة للحسب ولا للنسب إذا كان المرء هابطاً في نفسه وفاسداً في أخلاقه وسلوكه[1].

ومعنى قوله تعالى ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ أي من آدم وحواء بقرنية قوله ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾، ويجوز أن يراد بالذكر والأنثى، صنف الذكر والأنثى، أي كل واحد مكون من صنف الذكر والأنثى[2].

ومعنى ﴿شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ الشعوب جمع (شَعْبٍ) بفتح الشين وسكون العين، الجمع العظيم المنتسبون إلى حي واحد، والشعوب جمع القبائل التي ترجع إلى جدٍ واحد من أمةٍ مخصوصة، والقبائل جمع قبيلة وهي ما دون الشعب[3].

وقال ابن عطية: اللام في ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ لام الأمر، وهو أجود من لام (كي) لأنه يضطرب المعنى؛ إذ لو كانت لام (كي) فكأنه قال (يا أيها الناس) أنتم سواء من حيث أنتم مخلوقون؛ لأن تتعارفوا ولأن تعرفوا الحقائق، وأما الشرف والكرم فهو بتقوى الله وسلامة القلب[4]، وعلى ذلك أجمع المفسرون.

ومعنى قوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ أكرم الناس عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانفكاكاً عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوماً، ولا أشرفهم نسباً.

وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يعلم من يقوم منهم بتقوى الله ظاهراً أو باطناً، ممن يقوم بذلك ظاهراً لا باطناً، فيجازي بما يستحق، فهو الخبير بكل شيء.

([1]) الجزائري، أيسر التفاسير (131/5). وأبو حيان، البحر المحيط، (116/8)، الألوسي، روح المعاني، (1513/19)، وانظر البيضاوي، تفسير البيضاوي، (137/5)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (258/26).

([2]) أبو حيان، البحر المحيط، (115/8)، الفخر الرازي، التفسير الكبير، (113/28)، الألوسي، روح المعاني، (312/19).

([3]) الأصفهاني، المفردات، ص216، وانظر الألوسي، روح المعاني، (312/19).

([4]) ابن عطية، المحرر الوجيز، (153/5)، أبو حيان، البحر المحيط، (116/8)، الألوسي، روح المعاني، (313/19)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (259/26).

وقال أبو بكر الجزائري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ جملة تعليلية يبين أنه عليم بالناس ببواطنهم وظواهرهم خبير بكل شيء[1].

- **المطلب الثاني: حقيقة التعارف وآثاره في بناء المجتمع**

لقد بينت الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ...﴾ أن أصل الإنسان واحد وجميع الناس خلقوا من أب وأم، وأنه لا فرق بين عربي على أعجمي إلا بتقوى وهذا لحكمة جليلة؛ وهي التعارف، وهو لغةً مصدر تعارف القوم، أي عرف بعضهم بعضاً، ومن مادة (عرف) التي تدل على السكون والطمأنينة[2].

واصطلاحاً: أن يعرف الناس بعضهم بعضاً بحسب انتسابهم جميعاً إلى أب وأم واحدة، ثم بحسب الدين والشعوب والقبائل، بحيث يكون ذلك مرعاة للشفقة والألفة، والوئام، لا إلى التنافر والعصبية[3].

وأما آثار التعارف على أبناء المجتمع المسلم فهي عظيمة وجلية ومنها:

1- يقوي روابط الأخوة في الله.

2- يورث الحب في الله وينميه.

3- يقضي على التناحر، والتخاصم والتقاطع بين أفراد المجتمع المسلم.

4- يزيل التمايز الطبقي بين أفراد المجتمع المسلم وتسود المساواة بينهم.

5- التعارف هو السبيل للتعاون على البر والتقوى.

6- يورث السكينة والطمأنينة في القلب؛ لأن من عرف شيئاً اطمأن إليه.

7- التعارف يزيل البغضاء والشحناء من القلوب ويبدله حباً ووئاماً.

([1]) الجزائري، أيسر التفاسير، (131/5)، وابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات، ص57.
([2]) ابن فارس، مقاييس اللغة، (28/4)، ابن منظور، لسان العرب، (236/9).
([3]) حميد، نضرة النعيم، (1004/4).

8- يصبح المجتمع المسلم مجتمعاً متماسكاً معتزاً بأفراده.

9- التعارف يؤلف القلوب، ويوحد الصفوف، ويتيح الوقوف لمواجهة أعداء هذا الدين.

10- التعارف والتآلف ينشر الرعب والقلق في نفوس أعداء المسلمين، ويحسبون للمسلمين ألف حساب[1]

(1) حميد، نضرة النعيم، (1007/4).

المبحث الثاني عشر

القواعد الأخلاقية المشتركة بين كلتا السورتين (لقمان والحجرات)، والقواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة لقمان، والقواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة الحجرات

بعد عرض ودراسة كلتا السورتين (لقمان والحجرات) وتناول الحديث عنهما من حيث التعريف بهما، وسبب نزولهما، والموضوعات التي اشتملت عليها كلتا السورتين، واستنباط القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم من خلال تفسير آياتهما، يحسن عمل مقارنة وايجاد علاقة بين السورتين من خلال ما توصلت إليه من قواعد أخلاقية حميدة تسهم في بناء المجتمع المسلم، وأخرى لا بد من اجتنابها تسهم في هدم لبنات المجتمع المسلم.

وهذا المبحث يتناول القواعد الأخلاقية المشتركة بين كلتا السورتين (لقمان والحجرات)، والقواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة لقمان، والقواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة الحجرات، وذلك عبر المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: القواعد الأخلاقية المشتركة بين كلتا السورتين (لقمان والحجرات).**

أنزل الله عز وجل القرآن الكريم؛ ليكون دستوراً ومنهجاً مثالياً لعباده المؤمنين، وعمل على إرساء وتثبيت أصول هذا المجتمع المسلم من خلال ما شرّعه الله عز وجل من أحكام وأمور لا بد من الالتزام بها، وأمور نهى الله عنها لما فيها من إضعاف لبنات المجتمع المسلم.

وقد تبين للباحثة أن هناك علاقة وقواعد أخلاقية مشتركة بين كلتا السورتين (لقمان والحجرات) وهي على النحو الآتي:

1- كلتا السورتين (لقمان والحجرات) تضمنتا طائفةً من أفضل أساليب التربية الأخلاقية والقواعد الاجتماعية من أمرٍ ونهي، وتوجيه وإرشاد وتقرير للحقائق.

2- تناولت كلتا السورتين (لقمان والحجرات) خُلقاً حميداً وأمرت به، وهو غضّ الصوت، فقد أوصى لقمان ابنه بهذا الخلق، ونفره من رفع الصوت دون الحاجة إليه، قال تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [1]. وجاءت آيات سورة الحجرات أيضاً تنهى المؤمنين عن رفع الصوت وخاصة بحضرة النبي ﷺ قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾[3]، أي يخفضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ إذا كلّموه إجلالاً و وقاراً له، أو كلموا غيره بين يديه إجلالاً له[4].

3- تحدثت كلتا السورتين عن علم الله عز وجل الذي يعلم غيب السماوات والأرض، ويعلم ما نخفي وما نعلن، وجاءت هذه الحقيقة على لسان لقمان الحكيم، وهو يوصي ابنه بمراقبة الله عز وجل، الذي يعلم ما في السماوات والأرض، وضرب له مثلاً دقيقاً يبين له شمول علم الله وإحاطته بخفايا وأدق الأشياء قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾[5].

---

[1] سورة لقمان، آية19.
[2] سورة الحجرات، آية2.
[3] سورة الحجرات، آية3.
[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (363/19).
[5] سورة لقمان، آية16.

وجاءت سورة الحجرات تؤكد هذه الحقيقة، وتختم السورة بقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾[1].

4- تناولت كلتا السورتين حقيقة عظيمة؛ وهي أن الناس جميعهم متساوون؛ خُلقوا من أبٍ وأم ولا فرق لعربيّ على أعجميّ إلا بالتقوى، فلمَ التكبر والتفاخر؟

ولقمان الحكيم يعلم سر هذه الحقيقة لذلك يوصي ابنه ويحذره من داء التكبر الذي يودي بصاحبه إلى الهاوية، قال تعالى على لسان لقمان وهو يوصي ابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ ﴾[2].

وجاءت سورة الحجرات، لتؤكد هذه الحقيقة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[3].

كل إنسان مخلوق من أبوين، فلم التكبر والتفاخر بالأنساب، فإنه لا قيمة للحسب ولا للنسب إذا كان المرء هابطاً من نفسه، وفاسداً في أخلاقه.

- **المطلب الثاني: القواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة لقمان.**

اشتملت سورة لقمان على منظومة من القيم التربوية والأخلاقية لمقومات الشخصية المؤمنة، المنضبطة بتلك المثل العليا، والقيم الأخلاقية والعقدية، وجاءت بأسلوب حواري لطيف متمثل بالوصية بين عاطفة الأبوة المتصفة بالخبرة والحكمة، والمتدفقة بالحنان والعطف والرحمة، إلى النبوة المتأدبة المتواضعة.

وانفردت سورة لقمان بجملة من القواعد الأخلاقية والقيم التربوية لم ترد في سورة الحجرات ومنها:

1- قيمة التوحيد، وعدم الإشراك بالله.

---

[1] سورة الحجرات، آية18.
[2] سورة لقمان، آية18.
[3] سورة الحجرات، آية13.

2- الإحسان إلى الوالدين والبر بهما.

3- الأمر بإقامة الصلاة.

4- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5- الصبر.

- **المطلب الثالث: القواعد الأخلاقية التي انفردت بها سورة الحجرات.**

تعتبر سورة الحجرات مدرسة متكاملة عقدية وتشريعية وتربوية، تربّي في ضوئها أصحاب محمدٍ ﷺ وتربّي الأمة على سمو الأخلاق، وفضائل الأعمال.

وانفردت سورة الحجرات بجملة من الآداب الاجتماعية والأخلاقية لم ترد في سورة لقمان ومنها:

1- عدم التقديم بين يدي الله ورسوله.

2- التبيّن من الأخبار والتثبت من نقلها.

3- الإصلاح بين الطائفتين المتخاصمتين.

4- مكانة الأخوّة الإيمانية.

5- التعارف بين الناس.

وانفردت سورة الحجرات بعرض بعض الأمراض الاجتماعية والتي تتجلى في الواقع الاجتماعي، وتتجسد في إضعاف وهدم لبنات المجتمع المسلم، وتنهى المسلمين بالتخلق بها:

1- السخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

2- الظن السيِّئ بالآخرين.

3- التجسس.

4- الغيبة.

هكذا نجد القرآن الكريم اهتم بإيجاد دستورٍ مثاليٍّ عظيمٍ يقيم للمجتمع المسلم كيانه، وينمي شخصية الإنسان المسلم؛ ليكون فاعلاً في مجتمعه، منضبطاً في سلوكياته بمنظومةٍ من القيم الأخلاقية.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأصلي وأسلم على نبينا محمد ﷺ.

أحمد الله عز وجل الذي وفقني على إتمام هذا العمل، وأختم البحث بعرض أهم ما توصلت إليه من نتائج من خلال دراستي لسورتي (لقمان والحجرات) بالنقاط الآتية:

1- اهتمام الأب بتربية الأولاد، والحرص على صلاحهم، وهذا يتطلب المبادرة من الأب ووجوب العلاقة الحميمة بين الأب وولده، ومدى حرصه على سعادة ولده.

2- حسن التأسي والاقتداء بالمنهج الأخلاقي الصحيح قولاً وعملاً، لما فيه من تأثير وتهذيب، وتحصين للنفس البشرية في جوهرها ومظهرها وهيئتها العامة.

3- يبرز في هذا البحث أهمية الوصية للأولاد المتمثلة في تقديم النصح والإرشاد لهم، بما يعود عليهم بالنفع، وحب الآخرين لهم واحترامهم.

4- التربية الحسنة للأولاد هي مسؤولية الوالد الذي يتتبع ابنه منذ ميلاده وحتى يبلغ أشده، فيؤدبه ويعلمه الحلال والأخلاق الحسنة.

5- خطورة التقدم بين يدي الله ورسوله، وأشد أنواع التقدم بين يدي الله هو الحكم بغير ما أنزل الله، فهو كفر قد يخرج صاحبه من الملّة.

6- الأدب مع الله عز وجل، ثم مع رسوله ﷺ، في كل شأن، ومن هذا الأدب ينبثق الأدب مع الآخرين.

7- اجتناب نشر الإشاعات بين أبناء المجتمع، ووجوب التحري والتثبت في نقل الأخبار، والبعد عن التسرع في تصديقها، لما يترتب عليها من آثار خطيرة تسهم وتفتك بالمجتمع.

8- الأصل في الجماعة المسلمة أن تكون لهم إمامة واحدة، وأن لا يقع بينهم قتال ولا نزاع إلا نادراً.

9- وجود ميّزة المنهج الشرعي المتكامل الشامل للتثبت والتبين من الأخبار امتازت به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم، وهذا ما حفظ لها سنّة نبيّها وتاريخها.

10- كلتا السورتين هما (لقمان والحجرات) تضمنتا جملةً من القواعد الأخلاقية والمثل والقيم الهادفة، لبناء المجتمع المسلم، وصلاحه في الدنيا والآخرة.

11- اشتملت سورتا لقمان والحجرات على أفضل أساليب التربية الأخلاقية والبلاغية وتنوعها بين التوجيه المباشر بالطلب، وضرب المثل والتشبيه والاستعارة والكناية.

التوصيات

1- أوصي المؤسسات التعليمية والأكاديمية بوضع مساق للتربية الأخلاقية لتخليص الأمة من أمراضها وعللها.

2- أوصي أهل العلم وذوي الاختصاص بمجال الأخلاق بعقد اجتماعات وعمل مشاوراتٍ علمية أخلاقية تناقش فيها أزمة الأخلاق في هذا الوقت المعاصر، والتوصل لإيجاد حل لهذه الأزمة التي يعاني منها مجتمعنا اليوم إلا ما رحم ربي.

3- أوصي أهل العلم بتشجيع مريدي العلم على التخلق بالأخلاق الحسنة بمنحهم وسام شرف "الطالب المثالي الأخلاقي" لتشجيع غيرهم على الاقتداء بهم.

4- وأوصي بطباعة ونشر بعض الكتيبات، التي تتحدث عن الأخلاق وفضلها، بين أبناء المجتمع للتشجيع على تناولها وقراءتها، والتخلق ولو بشيء يسير مما طرح بها.

5- أوصي بعمل دراسات جامعية تتناول موضوع الأخلاق في بقية سور القرآن الكريم.

6- أوصي بعمل دراسات جامعية تجمع بين الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

7- أوصي بعمل دراسات جامعية تجمع بين الجانب الخلقي والجانب التربوي.

الفهارس العلمية

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

الاسم أو الكنية	الصفحة
1. الأقرع بن حابس بن مجاشع	33، 34، 36
2. الأوزاعي	27
3. ثابت بن شماس	34. 35، 39
4. أبو جبيرة بن الضحاك	40
5. الحارث بن ضرار الخزاعي	37
6. الحسن البصري، الفقيه العابد المشهور	32، 83
7. سعيد بن المسيب القرشي	27
8. زيد بن أرقم	35
9. سعيد بن جبير	42، 100
10. سعد بن أبي وقاص	19، 20، 73
11. السهيلي	26
12. الشعبي عامر بن شراحيل	29
13. عكرمة المخزومي	20، 29
14. عتاب بن أسيد	41
15. قتادة بن دعامة	17، 30
16. الكلبي	17
17. مجاهد	18
18. مقاتل	18، 26، 41
19. معاوية بن العباس بن مرداس السلمي	78
20. النحاس	17
21. الوليد بن عقبة بن أبي معيط	36، 37، 132
22. يزيد بن شجرة الرهاوي	41

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

اسم السورة وطرف الآية	الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾	45	100، 101
﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	55	103
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ...﴾	83	66
﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾	132	67
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	153	92
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾	175	101
﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ ﴾	269	30
سورة آل عمران		
﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾	48	49
﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾	58	49
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ...﴾	81	49
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾	104	95
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ...﴾	110	93، 95
﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾	134	178
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	200	103
سورة النساء		
﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ ...﴾	11	67

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ...﴾	59	136
﴿...إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾	102	91
﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾	148	175
سورة الأنعام		
﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾	65	143
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾	82	19، 62، 75
سورة الأعراف		
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ...﴾	157	95
سورة الأنفال		
﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾	46	143
سورة التوبة		
﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا ...﴾	24	153
﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ٥٨﴾	58	161
﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾	122	139
سورة يونس		
﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾	1	49
﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾	4	149
سورة هود		
﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾	1	49
﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾	46	60

﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾	92	113
سورة يوسف		
﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم... ﴾	40	123
﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾	87	172
قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾	108	98
سورة الحجر		
﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾	88	107
سورة النحل		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾	90	149
سورة الإسراء		
﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾	24	69
﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾	44	57
وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	85	20
سورة الكهف		
﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ...﴾	28	81
سورة طه		
﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾	81	167
سورة الأنبياء		
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾	25	59
سورة النور		
﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾	12	166
﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾	16	165
قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠﴾	30	112

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾	31	112
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾	52	125
سورة الفرقان		
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣﴾	63	113
سورة الشعراء		
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣﴾	23	63
﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥﴾	215	105
سورة العنكبوت		
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾	8	19
سورة الروم		
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾	15	22
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٧ ﴾	27	23
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٣٣ ﴾	33	23
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٥٦ ﴾	56	23
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾	58	22، 23
سورة لقمان		
﴿ الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾	1، 2	23
﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ﴾	2، 3	22
﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾	4	23
﴿ الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ .... أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾	1، 5	24
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا۟	6	17، 22

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ ﴾		
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ ﴾	7	24
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ... وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ ﴾	7 ،6	24
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا... ﴾	9	24
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝١٢﴾	12	54 ،53 ،26
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	13	58 ،18
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى... ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥ ﴾	15 ،14	77 ،71 ،66
﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾	16	84 ،79
﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾	17	98 ،93 ،89
﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	18	107
﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝١٩﴾	19	114
﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ... إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٣ ﴾	23 ،22	25
﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	27	20 ،17
﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٨ ﴾	28	23
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ... ﴾	32	23 ،22
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ... ﴾	34	25 ،21
سورة الأحزاب		
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾	21	81

سورة يس		
﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾	1، 2	49
سورة ص		
﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ۝٢٠﴾	20	49
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾	29	46
سورة الزمر		
﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾	10	98
﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾	56	162
سورة الشورى		
(وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠)	30	97
﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝٤٣﴾	43	103
سورة الأحقاف		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾	13	65
﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾	15	74
سورة الفتح		
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ۝٢٩ ﴾	29	43
سورة الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾	1	33، 121،118، 123
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ ﴾	2	34، 121، 125، 184
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ ﴾	3	34، 129، 184
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ ﴾	4	32، 35
﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥ ﴾	5	33، 166

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ... ﴾	6	36، 38، 121، 132، 178
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ	9	121
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ ﴾	10	150
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ....إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ ﴾	9، 10	38، 138، 150
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ .... ﴾	11	39، 40، 121، 157، 163
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾	12	121، 163، 169، 173، 177
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣	13	39، 42، 179، 185
﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ ...﴾	14	42
﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ ...﴾	17	42
	18	185
سورة ق		
﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ ﴾	1، 2	44
﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾	18	178
سورة الرحمن		
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩﴾	9	148
سورة المجادلة		
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ ..... إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾	7	88
﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾	22	154
سورة التحريم		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ...﴾	6	58

سورة القلم		
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	4	11
سورة القيامة		
(وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝)	2	88
سورة البلد		
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝﴾	4	68
سورة الهمزة		
﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝﴾	1	161

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ	65
أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ	177
إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ	113
إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ .حَتَّىَ تَخْتَلِطُوا بِالنّاسِ. مِنْ أَجْلِ أَنْ يحْزِنَهُ	155
أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وسأل عن أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النار، فقال: الفم والفرج	13
أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ, وَالصَّلاةِ, وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ, فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ	144
أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبائِرِ ثَلاثًا، قَالُوا: بَلى يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الإِشْراكُ بِاللهِ وَعُقوقُ الْوالِدَيْنِ.	62
أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ	91
مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:«أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟	68
أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في أعلى الجنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقه	13
إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ	91
إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا	177
أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	76
إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا	163، 165، 170
ائْذَنُوا لَهُ فَلَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ"	182
أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ	160

تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً	82
حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ست: رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وإذا استنصحك فانصح له	154
خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ	176
خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا	13
دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ لاَ حَالِقَةَ الشَّعْرِ. وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا.	144
سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ	159
الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ –أَوْ: تَمْلَأُ– مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ،	103
عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ	102
فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا	78
فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ	76
لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ	150
لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ	82
لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا	50
لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ	109
لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ	174
لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ	56
لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً	201
لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْراً أَوْ يَقُولُ خَيْراً	144
لِيَنْصُرْ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَإِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نُصْرَةٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ	154
مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا	110
مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ	103

يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ	
مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ	13
الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ	162
الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ	150، 174
مِنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعْهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِين	110
مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ	96
مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ	77
نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ	136
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ	96
وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ	110
وان النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثبت عليها	154
يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ	169

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الأحمد نكري، عبد النبي بن عبد الرسول، **دستور العلماء**، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط(1)، 1421هـ- 2000م.
2. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن علي بن محمد الجزري (ت630هـ-555م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار ابن حزم، ط(1)، 1433هـ-2012م.
3. الأصفهاني، الراغب أبي القاسم الحسين بن محمد (ت425هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت، ط بدون.
4. الألباني، محمد ناصر الدين، ، دار المعارف- الرياض، ط(1)، 1416- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** 1996م.
5. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط بدون.
6. البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل (ت156هـ)، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط(3)، 1407هـ-1987م.
7. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، دار الفكر- بيروت، ط(1)، 1420هـ.
8. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط(4)، 1432هـ-2011م.

9. أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، **أيسر التفاسير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط(5)، 1424هـ- 2003م.

10. البوطي، محمد سعيد رمضان، **فقه السيرة**، دار الفكر، ط(7)، تاريخ بدون.

11. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(1)، 1418هـ.

12. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1395هـ-1975م.

13. التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد عبد الوهاب (ت1285هـ)، **فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد**، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة- مصر، ط(7)، 1377هـ-1957م.

14. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ)، **العبودية**، تحقيق: محمد زهير الشاويش، بيروت- دمشق، ط(7)، 1426هـ- 2005م.

15. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(1)، 1410هـ-1990م.

16. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ)، **تفسير ابن تيمية**، جمع وحققه: إياد بن عبد اللطيف القيسي، دار ابن الجوزي، ط(1)، 1432هـ.

17. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، حققه: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1403هـ-1983م.

18. ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد (ت 833هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

19. ابن جُزَي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق:

عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن الأرقم، ط(1)، 1416هـ.

20. الجوهري، أبو النصر إسماعيل بن حماد (ت393هـ)، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط(4)، 1407هـ-1987م.

21. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد (ت327هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ، ط(3)، 1419هـ.

22. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي، **الثقات**، دائرة المعارف العثمانية- الهند، ط(1)، 1393هـ-1973م.

23. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد العزيز بن باز وفؤاد عبد الباقي، مكتبة دار مصر، ط(1)، 1421هـ- 2001م.

24. الحموي، شهاب الدين ياقوت أبو عبدالله الرومي، **معجم الأدباء**، حققه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط(1)، 1414هـ-1993م.

25. حميد، صالح بن عبد الله، **نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم**، دار الوسيلة، جدّة.

26. ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حققه: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط(1)، 1421هـ-2001م.

27. أبو حيان، محمد بن يوسف الغرناطي، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية- بيروت، ط(3)، 2010م.

28. الخراز، خالد بن جمعة بن عثمان، **موسوعة الأخلاق الإسلامية-الدرر السنية**، مكتبة دار الأثر، ط(1)، 1430هـ- 2009م.

29. الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر ، **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، دار صادر، بيروت، ط بدون، تاريخ بدون.

30. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط(1)، 1971م.

31. الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (ت444هـ)، **البيان في عد آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط(1)، 1414هـ-1994م.

32. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، **سنن أبو داود**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط بدون، تاريخ بدون.

33. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط(1)، 2003م.

34. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، دار الحديث، القاهرة، ط بدون، 1427هـ-2006م.

35. الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف محمد، المكتبة العصرية، بيروت، الدار النموذجية-صيدا، ط(5)، 1420هـ-1999م.

36. الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق (ت1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، حققه: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط بدون، بدون تاريخ.

37. ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تحقيق: محمد شعبان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1410هـ-1990م.

38. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، **معاني القرآن وإعرابه**، عالم الكتب، بيروت، ط(1)، 1408هـ- 1988م.

39. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر، بيروت-دمشق، ط(2)، 1418هـ.

40. الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد جاد الله (ت593هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود ورفيقه، مكتبة العبيكان، الرياض، ط(1)، 1418هـ- 1998م.

41. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن**، تحقيق: عبد الرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط(1)، 1420هـ-2000م.

42. أبو السعود العمادي، محمد بن محمد العمادي (ت982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بدون، تاريخ بدون.

43. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، **بحر العلوم المشهور- تفسير السمرقندي**، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ط بدون، تاريخ بدون.

44. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت458هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(1)، 1417هـ-1990م.

45. السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(3)، 2010م.

46. السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر، **لباب النقول في أسباب النزول**، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط(3)، 1421هـ–2000م.

47. شديد، محمد، **منهج القرآن في التربية**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة– مصر، ط بدون، 1989م.

48. شحاته، عبد الله محمود (ت423هـ)، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط بدون، 1981م.

49. شلبي، حسن عبد المنعم، **الجامع في أسباب النزول**، تحقيق وتخريج: موفق منصور، مؤسسة الرسالة، ط(1)، 1432هـ–2011م.

50. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن عبد القادر (ت1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر، بيروت، 1415هـ– 1995م.

51. صقر، عطية، **موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام– الوالدان والأقربون**، مكتبة وهبة، ط1، 1425هـ–2004م.

52. الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر، ط(1)،1420هـ–2000م.

53. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت1393هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية–تونس، 1984هـ، ط بدون.

54. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، **تفسير سورة الحجرات**، دار الثريا، الرياض، ط(1)، 1425هـ- 2006م.

55. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت543هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد الرؤوف مهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(1).

56. عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت1424هـ)، **معجم اللغة العربية المعاصر**، عالم الكتب، ط(1)، 1429هـ- 2008م .

57. العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، **معجم الفروق اللغوية**، حققه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم، بيروت، ط(1).

58. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق غالب الأندلسي (ت596هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1422هـ.

59. العلي، إبراهيم محمد، **رياض الأُنس في بيان أصول تزكية النفس**، تحقيق: الدكتور أحمد الرقب، المملكة الأردنية الهاشمية، ط(3)، 1426هـ-2005م.

60. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، ط بدون، تاريخ بدون.

61. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1970م، ط بدون.

62. الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ)، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، ط(8)، 1426هـ-2005م.

63. الفخر الرازي، فخر الدين ضياء الدين عمر، **مفاتيح الغيب**، إحياء التراث، بيروت، ط بدون، تاريخ بدون.

64. أبو فارس، محمد عبد القادر، **في ظلال الأخلاق في سورة الحجرات**، دار عماد، ط(1)، 1412هـ- 1992م.

65. القاسمي، محمد جمال الدين (ت1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط(1)، بدون تاريخ.

66. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط(4)،231هـ-889م.

67. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبد الله المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط بدون، تاريخ بدون.

68. قطب، سيد إبراهيم، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط(3)، 1422هـ-2001م.

69. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شمس الدين (ت751هـ)، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، دار عالم للفوائد، مكة المكرمة، ط(1)، 1420هـ.

70. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شمس الدين (ت751هـ)، **عدة الصابرين**، ط بدون، تاريخ بدون.

71. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شمس الدين (ت751هـ)، **مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(3)، 1416هـ-1990م.

72. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، دار الكتب المصرية، ط بدون، تاريخ بدون.

73. ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ)، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، ط(1)، 1966م.

74. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت1094هـ)، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط بدون، تاريخ بدون.

75. ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد الباقي، دار إحياء الكتب العربي، ط بدون.

76. مجموعة من المؤلفين، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ط بدون.

77. المراغي، أحمد مصطفى (ت1371هـ)، **تفسير المراغي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بدون، تاريخ بدون.

78. المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج، **تهذيب الكمال**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(1)، 1400هـ-1987م

79. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت427هـ)، **تهذيب الأخلاق**، تحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل، بغداد-بيروت، ط(1)، تاريخ بدون.

80. مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القيشري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بدون، تاريخ بدون.

81. المشني، مصطفى إبراهيم، **الإعجاز البياني في آيات وصايا لقمان الحكيم وما ينطوي عليه من قيم**، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

82. المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف، **التوفيق على مبهمات التعريف**، عالم الكتب، القاهرة، 1410هـ- 1990م.

83. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم (ت711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر- بيروت، ط(1)، 1408هـ.

84. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، دار القلم- دمشق، ط(1)، 1425هـ-2004م.

85. ناصر، إبراهيم بن عبدالله، **التربية الأخلاقية**، الجامعة الأردنية، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، ط(1)، 2006م.

86. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، **دار السنن الكبرى**، حققه حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(1)، 1421هـ-2001م.

87. نوح، السيد محمد، **آفات على الطريق**، دار الوفاء، المنصورة، ط(1)، 1413هـ-1993م.

88. الواحدي، علي بن أحمد بن محمد (ت468هـ)، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط بدون، 1422هـ-2001م.

89. الوادعي، أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، دار ابن حزم، مكتبة دار القدس، ط(3)، 1415هـ-1994م.

90. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت761هـ)، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: يوسف محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت.